مراجعات

ملحـق شهـري تصـدره وزارة الأوقـاف والشـؤون الدينيـة

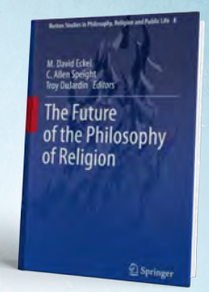

مستقبل فلسفة الدين

تحت إشراف: ديفيد إيكل وألين سبايت وتروي ديجاردان

جو بايدن والكاثوليكية...

ماسيمو فاجولي

التنوير في العصر الحي....

كورين بيلوشون

ما وراء المواجهة...

فيل مولان

طريق عبر الزمن والأرض...

فلاديمير كورشنكوف

رابطة المسلمين في تاريخ كيرالا

تشيكوتي

الحاوي في تاريخ الأبجدية

فرانك لاندسبرغن

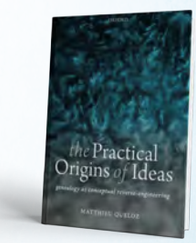

الأصول العملية للأفكار

ماثيو كيلوز

الأقل هو الأكثر...

جايسون هيكيل

الجغرافيا الاقتصادية..

فرانشيسكو ديني وباتريتسيا روميّ وفيليبو راندييللي

عشر دروس من الوباء

فريد زكريا

إصـدارات عـالميـة جـديـدة

ذي القعدة 1442 هـ - يونيو 2021

الصفحة الأولى...

هلال الحجري

من الشعراء الذين استلهموا الثقافة العربية جون إيفلين بارلاس John Evelyn Barlas (1860-1914)، كاتب مسرحي وشاعر وصحفي أسكتلندي. كان شخصية بارزة في الأوساط الأدبية الفيكتورية في أواخر القرن التاسع عشر. نشر بارلاس ثمانية مجلدات من الشعر والدراما الشعرية، إضافة إلى مساهمته بمقالات للمجلة الاشتراكية المؤثرة كومنويل Commonweal. ارتبط بارلاس شعرياً بـ «مدرسة الشعراء الرمزيين» وهي حركة أدبية أعلت القيم الجمالية على القضايا الأخلاقية والمعنوية للحياة اليومية. ربطته صداقات وثيقة مع أوسكار وايلد، وجون ديفيدسون، وغيرهما من الكتاب المهمين في عصره.

أمْتَطي جوادًا عَربيًّا
يَعدو بعيدًا كالإعْصار؛
ورُمْحي الفضِّيُّ يلمعُ كالبرق،
وسَيْفي كشهاب ثاقب؛
وترْسي كالشّمس في رابعة النّهار،
وفي لِفاع خُوذتي غُصنٌ من الدَّرْدار
وتُسمعُ التهاليلُ حين يُنادي البشيرُ
هذا فارسُ الخُوذة الذهبية.
لا أرتدي قُفّازًا ، ولا وِشَاحًا
منسوجًا في بلاد فارس؛
كي تعشَقَني النّساءُ،
لكنّهُنّ يَعْرِفْنَ حَدَّ سَيفي الفضيّ،
والذهبَ الخالصَ على درْعي،
والياقوتَ النفيسَ في تاجي،
حينَ تُشعُّ كضوءِ القَمَر،
وحينَ تتلهّفُ الجماهيرُ لرُؤيتي،
وأنا يَخبُّ بي فرَسي الأغَرُّ،
وتَهْتِفُ: «هذا فارسُ الخُوذة الذهبية».
أقِفُ على الحَلْبة مِثْلَ صَقْرٍ
أو طائرٍ كاسرٍ
ثُم فجأةً أنقضُّ كنَيْزَك
وأختَطِفُ الخصمَ بعيدًا؛
وحينَ تتكسّرُ الرِّماحُ في المَهامِّ الخاطفة،
أغشى الوَغَى وأحْمِل على الأعداء،
وأسيادُ الميدان يتخلّونَ عن قِلاعِهم المُحَصّنة
لفارسِ الخُوذة الذهبية.
أجتازُ العالَم مِثْلَ عاصفةٍ هوجاءَ
وأُجَنْدِلُ الطُّغاةَ؛
من أرضٍ إلى أرضٍ طلبتُ النِّزَالَ
وحَطّمتُ الصُّلْبانَ والتّيجانَ،
وجُبْتُ الآفاقَ حاسِرًا مِنْ أيِّ قِناعٍ صَفيق
لا أحَدَ يَعْرِفُ اسمي،
ولكنّهم تُزلزلُهم شُهْرتي بـ«فارسِ الخُوذة الذهبية».
لا أحَدَ يَعْرِفُ صَوْتي،
ولا مِنْ أيِّ أرضٍ أتيتُ،
ولكنّي أحْمِلُ قضاءَ اللّه وقدَرَه
عنيدًا لا أعرِفُ الصَّفْحَ؛
في عنفوانٍ صامتٍ كالجائحة،
أجتاحُ كُلَّ الدنيا،
كطاعونٍ مِنَ الجَبَروت،
أنا، فارسُ الخُوذة الذهبية.
إنما يتربّعُ على رأسي الدمُ والبأس،
وسَيْفي لا يَعرِفُ الغِمْدَ،
لكنْ تحت خُوذتي
وَجْهُ مَلاكٍ مُبتسم.
أُواصِلُ مَساري بقُوّةٍ غاشمة،
وأُنْجِزُ رِسالتي المُعْلنة.
ولكنّ الحُبَّ له عَرْشٌ في قلبٍ مجهول
لفارسِ الخُوذة الذهبية.

hilalalhajri@hotmail.com

مستقبل فلسفة الدين

تحت إشراف: ديفيد إيكل وألين سبايت وتروي ديجاردان

مُحمَّد الشيخ *

من المعلوم أن فلسفة الدين، من حيث هي مبحث فلسفي مستقل بذاته، إنما هي بنت الأنوار بلا مدافعة. وقد نشأت أول ما نشأت- وإلا فالفلسفة منذ أن كانت هي نظرت في شأن الدين النظر- في أوساط تلامذة الفيلسوف الألماني كانط (١٧٤٢-١٨٠٧) صاحب كتاب: الدين في حدود العقل وحسب (١٧٩٣)؛ وذلك بحسبانها نظرا نقديا في مفاهيم الدين وفي مسائله الجوهرية. وبعد مضي أزيد من قرنين من الزمان على هذه النشأة كان لا بد من وقفة لطرح السؤال: ترى، إلى أين تسير فلسفة الدين؟ في بواكر عام ٢٠٠٠ التأم جمع من الباحثين الشباب في فلسفة الدين، ضمن معهد فلسفة الدين التابع إلى جامعة بوسطن، للنظر في مستقبل حقل هذا المبحث من مباحث الفلسفة. وبعد مضي ما يقارب العقدين من الزمن، وقد صارت لفلاسفة الدين هؤلاء منزلة في أقسام الفلسفة بالجامعات الأمريكية، التأموا في خريف عام ٢٠١٧ للنظر المتجدد في ما كانوا قد أفادوا به أول النظر حول مستقبل مبحث فلسفة الدين؛ وذلك بعد أن تطعمت أسماؤهم بأسماء أخرى. وكانت ثمرة تلك المداولات هذا الكتاب الصادر عام ٢٠٢١.

أسيل الكثير من المداد، خلال العقدين الأخيرين، حول مستقبل فلسفة الدين. إذ كان قد صدر الكتاب الجماعي: «مستقبل فلسفة الدين القارية» (٢٠١٤) وكتاب كناريس جيم: «إعادة تشكيل فلسفة الدين: مستقبل ممكن» (٢٠١٨)، بل وصدر حتى كتاب نيك تراكاكيس: «نهاية فلسفة الدين» (٢٠٠٩)، وكتاب جون لوفتيس: «لماذا يتعين على فلسفة الدين أن تنتهي؟» وكل ذلك إنما يترجم عن قلق وهم حول مستقبل هذا المبحث؛ لا سيما وأن حقل الدراسات الدينية أمسى يشهد على تغيرات كثيرة وكبيرة؛ وذلك مثلما أن الاهتمام الفلسفي بالدين بات يتنوع تنوعا كبيرا؛ ما بين «أخلاقيات الاعتقاد» و«إبستمولوجيا الاعتقاد» و«أخلاقيات الدين» و«إبستمولوجيا الوحي» و«فلسفة التصوف» و«منطق الخلاف» و«أخلاقيات الخلاف» ...

يروي مدير معهد فلسفة الدين بجامعة بوسطن، ديفيد إيكل، في مدخل هذا الكتاب، كيف أنه مباشرة بعد توليه لمنصبه، شعر بأنه آن الأوان لطرح مسألة مستقبل فلسفة الدين على فلاسفة دين شباب، ومعرفة كيف يتصورون مستقبل مبحثهم. وقد دعا إلى عقد لقاء أكاديمي سمي: «مستقبل فلسفة الدين»، وكان من الممكن أن يدعى: «عن المستقبل من لدن المستقبل»؛ قاصدا بالمستقبل الأول الآتي من الزمان، وبالثاني الفلاسفة الواعدين. ثم سرعان ما توسعت حلقة المتداولين في مستقبل فلسفة الدين إلى حين عام ٢٠١٧؛ حيث تقررت مراجعة اللقاء الأصلي بالتركيز على التغير الذي طرأ على مشهد فلسفة الدين منذ حينئذ، وبضم أسماء جديدة إلى لائحة المتداولين. ولَئِنْ هي كانت قد تغيرت الكثير من القناعات بهذا الشأن. ولا غرابة في هذا؛ لأن الزمان سيال بدال. فإن القناعة التي بقيت راسخة هي أن لفلسفة الدين دورا قويا تلعبه؛ وذلك لا فقط في ما يتعلق بمستقبل الدراسات الدينية، وإنما في مستقبل الإنسانيات (العلوم الإنسانية) مأخوذة على وجه الجملة. والحال أن البحوث المضمومة إلى بعضها البعض في هذا الكتاب ثمرة هذه اللقاءات، وهي تبدي عن تنوع أدوار الفلسفة في حقول دراسات الدين، واقتدارها الفكري على لعب هذه الأدوار، ووجاهة وجودها في هذه الحقول.

هذا ويمكن تقسيم بحوث هذا الكتاب على النحو التالي:

بحوث تمهيدية ترسم خريطة الطريق

المنعطفات الأربعة لفلسفة الدين

أولا؛ ثمة البحوث الأولى التي تلقي نظرة عامة على المعضلات الجديدة التي باتت تواجه فلسفة الدين بحسبانها مبحثا ضمن مباحث الدراسات الدينية. وهكذا، يرسم البحث الأول «خريطة طريق» لبحوث الكتاب بأكملها؛ من حيث إنه يدور على التحولات الأربعة التي باتت تطرح تحديات متزامنة على فلسفة الدين: التحول العولمي (آمِرُ العولمة: على النظر في الدين أن يتعولم التعولم)، والتحول النقدي (آمِرُ النقد: على النظر في الدين أن يستلهم الفلسفة النقدية)، والتحول التعددي الاختصاص (آمِرُ تعدد التخصصات وتكاملها: على النظر في الدين أن يفيد من تنوع المباحث ومن تساندها)، والتحول العملي (آمِرُ العمل: على النظر في الدين أن يركز على جوانب الدين التطبيقية). والحال أن البحوث اللاحقة تزكي هذه المنعطفات الأربعة المطلوبة التي تطرح تحديات عميقة في حقل فلسفة الدين، وتهدد صيغته الكلاسيكية المتهالكة؛ وهي التحديات التالية: تحدي المنظور العولمي الشمولي إلى الدين، وتحدي النظرية النقدية والمنعطف النقدي، وتحدي تعدد المعارف حول حقول الدين وتكاملها، وتحدي بداية انشغال فلسفة الدين بالممارسات الدينية التطبيقية، وبالمشاكل العملية التي تطرحها مزاولة الأديان في عالم الواقع.

ويدور بحث ثانٍ عنوانه: «ما الذي يمكن للدراسات الدينية أن تفيد الإنسانيات إياه: منظور فلسفي» على دور «السمة المعيارية» في دراسة الدين. ذلك أن الشأن عند الوضعيين من دارسي الدين إنما هو الوقوف عند «الوصف». الواقعة . لا التجاوز إلى «الحكم». القيمة. وعلى عكس ذلك، يظهر البحث كيف أن المعيارية، وعلى الضد مما يعتقد، باتت تكتسح لا فقط الدراسات الدينية بخاصة، وإنما العلوم الإنسانية بعامة؛ إذ ما من فهم للإنسان اللهم إلا فهم يمتزج فيه بلا ريب الجانب المعياري بالجانب الوصفي؛ وذلك بما أن حد الإنسان أنه كائن معياري، وأن ممارسة العقل تقتضي إعمال الاعتبارات المعيارية؛ إذ لا عقل إلا وهو عقل مقوِّم. ومن هنا باتت تلعب فلسفة الدين دورًا حاسمًا في التعرف على الاعتبارات المعيارية وكشفها؛ بدءً من مسألة ما الدين وما ليس بالدين.

المنعطف العملي في فلسفة الدين

ثانيا؛ تركز البحوث الثلاثة اللاحقة على الجانب العملي (الممارسات الدينية المعاصرة)؛ وذلك بما يشهد على تحول في الدراسات الأكاديمية للدين من الهوس بالنصوص المقدسة إلى الولع بالممارسات الدينية، وبدل النفاذ عبر «المتون» بات النفاذ يتم عبر «الشخوص». مما أمسى يحتم على فلاسفة الدين الانتقال من اهتماماتهم النظرية الكلاسيكية بالنصوص إلى مواجهة الممارسات العملية التي صارت تعنى بها الدراسات الدينية المعاصرة؛ وذلك من مسألة «ذات المتدين» إلى «الذات المشاركة في الجماعة»، ومن «روح المتدين» إلى «جسده»؛ في ما أطلق عليه أحد

الباحثين اسم «فلسفة الدين المعيش» والتي ما عادت هي مجرد «فلسفة للنخبة المتعلمة» وإنما أمست «فلسفة لكل الأديان ولكل الشرائح الاجتماعية»؛ بحيث طفقت تهتم بكل الدواعي والأفكار كما تعاش في حيوات كل الأفراد والجماعات؛ وتلك هي «فلسفة الدين المعيش»، والتي هي ضرب من «فلسفة الدين الحية/المعيشة». كما يركز بحث لاحق على تصور الفيلسوف الأمريكي وليام جيمس البرجماتي لفلسفة الدين ولمستقبل الدين، وقد ركز على تنوع الخبرات الدينية، وصلة ذلك عنده بعلاقة الفكر بالفعل، وعلى اكتشافات وليام جيمس السيكولوجية حول الدين، وصلة ذلك بجانبي الدين الفردي والجماعي، وعلى تصوره البرجماتي للدين من حيث جانبه التحسيني. وذلك كله بما يشي بأن لا سبيل إلى التنبؤ بحال يأتي على البشرية تتجاوز فيه الدين إلى عالم ما بعد الدين.

المنعطف النقدي في فلسفة الدين

ثالثا؛ لا يقصد بالمنعطف النقدي هنا أن فلسفة الدين السابقة كانت غير نقدية، وأن عليها أن تمسي مع هذا المنعطف نقدية. إذ كانت فلسفة الدين دوما دراسة نقدية لمفاهيم الدين الأساسية ولقضاياه الجوهرية. وإنما معنى «النقد» هنا معنى مخصوص؛ يفيد المدرسة النقدية الألمانية. على أن «النقد» هنا. الوارد في قسم كبير من هذه البحوث . لا يفيد نقد المفاهيم والأسس والقضايا نقدا نظريا، وإنما يفيد النقد العملي المرتهن بما يجري في الواقع. ويمكن التمثيل لذلك بالبحث الموسوم: «الإيمان الذي يهم: العنصرية المضادة للسود ومستقبل فلسفة الدين»، والذي يظهر بعض أنحاء التعالق بين المسيحية الأمريكية والعنصرية البيضاء؛ بحيث يبدي أن «الإيمان» لا يكون أبدا «مجردا» و«متجردا»، وإنما هو إيمان «عياني» و«مادي»: حالة ذهنية مشخصة؛ مثلما هو حال العنصرية المضادة للسود التي أمست بمثابة ديانة. وهذا الأمر من شأنه أن يدعو إلى مراجعة «أخلاقيات الاعتقاد». كما يمكن التمثيل لهذا المنحى النقدي أيضًا ببحث: «النظرية النقدية والمؤامرة» الذي يكشف فيه صاحبه عن بعض وجوه التآلف بين إعمال النقد والقول بالمؤامرة: إذ توجد ثمة تماثلات بين نظرية المؤامرة والخطابات الأكاديمية المدعوة «نقدا» و«نظرية نقدية» و«جنيالوجيا» و«تأويليات ارتياب»؛ وذلك بحيث أنها باتت بدورها تملك مدافعين متحمسين يتبنون ضربا من «التفسير المتوجس أو الارتيابي» للظواهر الدينية.

المنعطف العولمي لفلسفة الدين

رابعا؛ يمكن التمثيل لهذا القسم بالبحث المتعلق بأمر «مزاولة الفلسفة في عصر التأثير الشديد على البيئة» أو ببحث «المهارات بلا قيم»؛ حيث يتعلق البحث الأول

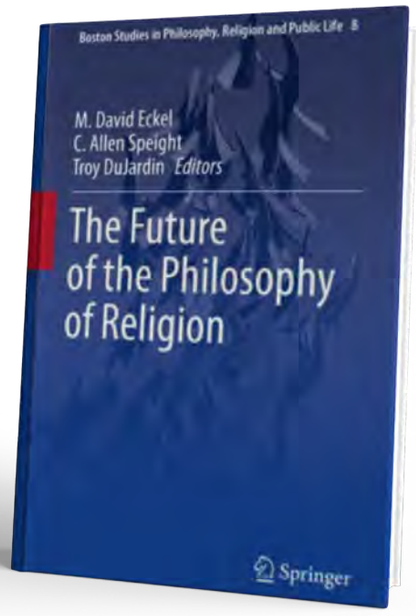

بدور فلسفة الدين المستقبلي في عالم باتت فيه ملامح المستقبل غائمة في «أرض مجهلة» مسكونة بكائنات بشرية أشبه شيء تكون بأشباح بلا أعيان وبمسوخ بلا أصول؛ أي في عصر ما بعد الدنونة، حيث صار يفرض على فلسفة الدين محاورة سيناريوهات المستقبل البيئي للإنسان الموسوم بالهشاشة وبالهجانة، وحيث أمست ملحة ضرورة إعادة النظر في طرح فلسفة الدين الكلاسيكية لمسألة «الشر» الطبيعي والأخلاقي على حد السواء. ويتعلق البحث الثاني بمستقبل الدين والفلسفة في عالم العدمية الذي هو سائر إلى التسيد في زماننا، ومحاولات فلسفة اليوم إعادة تسحير العالم بعد أن كان قد تم نزع طابعه السحري. ويوجد في هذا المقال نقد لمحاولة «استرجاع الآلهة» بأي ثمن كان على الطريقة الهايدجيرية، وفيه دعوة إلى العودة إلى دين الفطرة على طريقة الفيلسوفين الأمريكيين إميرسون (١٨٠٣- ١٨٨٢) وتورو (١٨١٧- ١٨٦٢). على أن هذا لم يمنع الباحثين من الاهتمام بفلسفات جهوية للدين؛ وإن تم ذلك على نحو أضأل، شأن الفلسفة الدينية اليهودية، والفلسفة الدينية البوذية والهندوسية.

المنعطف المتعدد الاختصاصات في فلسفة الدين

خامسا؛ يختتم الكتاب ببحثين يتعلقان بمسألة تعدد الاختصاصات وتكاملها؛ لا سيما في مضمار الإنسانيات: واحد متعلق بالفن والاستتيقا ينبه على التماثلات الكبيرة بين النقاش حول طبيعة الفن، والنقاش حول طبيعة الدين. إذ مثلما نبه الباحثون في ميدان الدراسات الدينية إلى أن مفهوم «الدين» إبداع حديث، ينبه الباحثون في مجال تاريخ الفن والجماليات على أن مفهوم «الفن»، بالمثل، حديث الوضع. ومن ثمة، كان للفن والدين تاريخ مفاهيمي متماثل؛ وهو ما يطرح مسيس الحاجة إلى تبادل للآراء حول كيفية معالجة مفهوم «الدين» قبل الدين ومفهوم «الفن» قبل الفن. ثم إن الباحث يدعو الفلسفة إلى النظر في الدور المستقبلي الذي ينبغي أن تلعبه في ما يخص الفن والدين. وثمة بحث ثانٍ متعلق بالتحليل النفسي والأصل التوحيدي للعلم. فلئن كان موقف فرويد من الصراع الموروث بين أهل التنوير والعلم، من جهة، وأهل المعتقد والدين، من جهة أخرى، أن انضم هو إلى جانب الطرف الأول؛ فإنه دعا، إسوة بكانط، إلى «ثورة كوبرنيكية جديدة» تأخذ بعين الاعتبار ارتباط المعتقدات اللاهوتية والدينية بالذاتية البشرية. ومن ثمة إعادة صاحب البحث التنبيه على أهمية العودة إلى كتاب فرويد حول الدين: «مستقبل وهم».

وختام الكتاب مسك. وهو بحث الفيلسوف الفرنسي الكبير جون ليك ماريون عن «الرب والتباس مفهوم الوجود». وهو بحث، مثل سائر بحوث ماريون، عصي على التصنيف. ويرى ماريون أنه قبل أن نفكر في أمر «الرب»، ما إذا كان في صحبة الوجود أم عنه في عزلة، يتوجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نحدد أي وجود نعنيه: أهو الوجود العلّي بالمعنى الميتافيزيقي المتوارث؟ أم هو الوجود الوهبي الحدثي كما تصوره الرب؟ ذلك أن ثمة تصورين حول «الوجود» سادا في التراث الفلسفي: واحد ميتافيزيقي (الإله الصانع) وآخر وهبي (الإله الوهاب). والذي عند ماريون أنه يلزم أن يظل هذان التصوران حاضرين في الذهن وحيَّيْن فيه؛ فلا يعزبان عن بالنا عند مناقشة أي أمر حول مستقبل فلسفة الدين.

بقي أن ننبه إلى أن ما يمكن أن يأسف له المرء وهو يقرأ هذا الكتاب إنما هو الغياب شبه التام لمقاربات فلسفية للدين غير المقاربات المركزية المسيحية الغربية؛ اللهم باستثناء محاولة خجولة سبق أن ألمعنا إليها. وكأن لا تقاليد في فلسفة الدين عند الأمم الأخرى غير الغربية يمكن أن يُلتفت إليها أو على الأقل أن يُستأنس بها. وتلك قضية أخرى.

· الكتاب: مستقبل فلسفة الدين
· تحت إشراف: ديفيد إيكل وألين سبايت وتروي ديجاردان
· دار النشر: سبرينجر
· سنة النشر: 2021

* أكاديمي مغربي

جو بايدن والكاثوليكية في الولايات المتحدة

ماسيمو فاجولي

عزالدين عناية *

تمثّل العلاقة بين اللاهوت والسياسة، والترابط بين الساحة القومية والساحة العالمية، أبرز محاور هذا الكتاب المعني بالشأنين الديني والسياسي في أمريكا. فعلى مدى المئتين وثلاثين سنة الأولى من تاريخ الولايات المتحدة، كانت الغالبية العظمى لجمهرة الرؤساء الأمريكيين متكوّنة من أعضاء في الكنائس المسيحية غير الكاثوليكية: الإبيسكوبالية والبريسبيتارية (المشيخية) والميتودية والمعمدانية. وضمن هذا السياق يمثّل جو بايدن الرئيس الكاثوليكي الثاني بعد الرئيس جون كينيدي الذي مرّ على اعتلائه كرسيّ الرئاسة ستون عامًا. فقد أثار انتخاب بايدن تساؤلات سياسية على إثر انتخابه بعد الرئيس السابق دونالد ترمب، وبالمثل أثار تساؤلات بشأن مذهبه الديني. فهناك كثيرون رأوا في بايدن رجلا مُخلّصا ذا مهمّة رسالية من أولوياته معالجة جراح أمريكا التي خلّفها ترمب. ففي كتاب صادر سنة ٢٠٠٥ بعنوان «المؤسّسة» من تأليف ماسيمو فرانكو، يتحدّث فيه عن «الإمبراطوريتين المتوازيتين» حاضرة الفاتيكان وأمريكا. ولكن ذلك التوازن بين الإمبراطوريتين عانى أثناء فترة إدارة ترمب من الخلل وسوء التفاهم، فهناك اختلاف جوهري بين رؤية البابا فرنسيس للعالم ورؤية ترمب «لنحافظ على عظمة أمريكا».

كتاب ماسيمو فاجولي الأستاذ في جامعة فيلانوفا بفيلاديلفيا، يقدّم شرحًا ضافيًا لمعنى انتخاب بايدن الكاثوليكي بالنسبة إلى تاريخ الكاثوليكية الأمريكية، ولما يمكن أن تتمخّض عنه من آثار في الخيارات السياسية للرئيس. حيث يحاول فاجولي فهم أبعاد السيرة الدينية لبايدن، عبر مشواره السياسي، قَبل اعتلاء كرسي الرئاسة وأثناء تولي هذا المنصب واستشراف ما يمكن أن تسير الأمور نحوه. إذ يشكّل الانتماء للكاثوليكية بالنسبة إلى الرئيس بايدن ثقلا مضاعفا مُقارنة بالانتماء البروتستانتي. والطرافة في الانتماء الديني لبايدن، في المخيال العام الأمريكي، أنّه يمثّل انتماءً لكنيسة لطالما عُدّت الخصم والمناوئ للمشروع الأمريكي. ولم يكن بايدن ثاني رئيس كاثوليكي بعد كينيدي فحسب، بل رابع مرشّح ضمن كوكبة المرشّحين الكاثوليك (آل سميث ١٩٢٨، كنيدي ١٩٦١، كيري ٢٠٠٤، بايدن ٢٠٢١) لتولّي ذلك المنصب السياسي والديني أيضًا، في فترة انتقال دقيقة من تاريخ أمريكا المعاصر ومن تاريخ الكنيسة الكاثوليكية أيضا. والملاحظ أنّ الأربعة الذين ترشحوا للرئاسة عبر تاريخ أمريكا انتموا إلى الحزب الديمقراطي، وجمعيهم تميّزهم جذور كاثوليكية إيرلندية، تلك الكاثوليكية الاجتماعية المنادية بتجاوُز الإخلالات الاجتماعية، عبر الدعوة إلى ترسيخ قِيَم التكافل والتآزر باعتماد الخُلق الإنجيليّ.

إذ تُعتَبر المهمّة الرئاسية الأمريكية مضاعَفة حين يتعلّق الأمر بتولي كاثوليكي منصب الرئاسة، وبما يفوق من ينتمون إلى كنائس أخرى بروتستانتية. فقد أتى انتخاب بايدن في فترة بدت فيها أمريكا في حاجة ماسة إلى ترسيخ التعدّدية الدينية والثقافية، بعد أن تراجع ذلك التمشي التقليدي مع الرئيس الأسبق ترمب. وتتداخل مرحلة الرئيس الأمريكي الجديد مع ما يُعرف بأوضاع «الكاثوليكية المعولمة»، وما تقتضيه من إعادة نظر في ملفات عدّة تستوجب المعالجة ضمن طروحات جديدة، تتخطى المقاربات السياسية والدينية لما قبل العولمة. صحيح يمكن فهم صعود بايدن الكاثوليكي بمثابة ردّ فعل غاضب على سياسة الرئيس السابق، وبوجه عام على ظاهرة ترمب. ولكن ضمن هذا الباب ثمة مراجعة لأمريكا كمشروع سياسي وأخلاقي في آن، وهو ما يضفي زخما مميزا على صعود الرئيس بايدن في الساحتين الأمريكية والعالمية.

إذ يلاحظ المتابع للشأن الأمريكي إبّان فترة الانتخابات جعْل بايدن من إيمانه الكاثوليكي عنصرًا بارزا في حملته الانتخابية لدى عرْض مشروعه السياسي، كما بيّن مرّة أخرى أنّ للكاثوليكية في الولايات المتحدة دورًا وحضورا في المشروع الأمريكي، وهو مشروع مركّب سياسي ومدني واجتماعي وثقافي. لكن ذلك الطرح يواجهه تساؤل عميق: فيما يتمثّل جوهر الإشكال الديني بين الكاثوليكية والبروتستانتية في أمريكا؟ ما من شك أنّ الفضاء الديني الأمريكي قد نشأ كفضاء حرّ وعلى تضادّ مع الفضاء الموجَّه في الغرب، اختاره المسيحيون الأمريكان كخيار تمرد يقف على نقيض «البابوية» في روما.

وصحيح شهدت العقود الأخيرة في أمريكا نوعًا من المصالحة مع الشخصية الكاثوليكية بوجه عام، حيث ظهر بايدن مع كمالا هاريس على غلاف «التايم» بوصفه شخصية العام، وقد سبق أن ظهر كينيدي سنة ١٩٦١، وظهر البابا يوحنا الثالث والعشرون سنة ١٩٦٣، وظهر يوحنا بولس الثاني سنة ١٩٩٤، وظهر البابا فرنسيس سنة ٢٠١٣؛ ولكن هذا القبول لا يعني تسوية نهائية وتامة وإنما سيرا في طريق المصالحة المنشودة. ويعود المؤرخ البروتستانتي مارك نول في تفسيره لجذور الخلاف إلى أنّ «الغالبية العظمى من البروتستانت الأمريكان، كانت الكاثوليكية تبدو لديهم غريبة عن القيم السياسية الحقيقية وفي تضارب مع جوهر المسيحية» وذلك إلى حدود أواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

كان التناقض حاصلا بين الواقع الأمريكي والكنيسة الكاثوليكية جرّاء عدم القبول بالدمقْرَطة المطروحة في الوسط الأمريكي، وبشأن آليات تسيير الكنيسة. وإلى حدود أواسط القرن العشرين كان الشعور المناهض للكاثوليكية جليا في الولايات المتحدة، وكان يُنْظر للقادم من الثقافة الكاثوليكية بعين الريبة، ولم يشهد هذا النفور تراجعا سوى بعد ظهور جملة من العوامل بدأت تتبلور منذ الحرب العالمية الثانية: مثل انعقاد مجمع الفاتيكان الثاني، وظهور الحرب الباردة، واصطفاف الفاتيكان الجلي مع خيارات المعسكر الغربي. وبالمقابل تراجعت استراتيجية الكنيسة منذ العام ١٩٠٨ لتغدوَ أمريكا ليست أرض تبشير بالكاثوليكية ضمن استراتيجيات «الكوريا الرومانية» (أعلى الهيئات السلطوية للكرسي الرسولي) وضمن «مؤسسة البروبغاندا فيدس» (هيئة التبشير العليا التابعة لحاضرة الفاتيكان). ولم تعرف العلاقات الأمريكية الفاتيكانية مستوى متطورا سوى مع العام ١٩٨٤، رغم أن الفاتيكان يقف على مسافة من سياسة الدفاع الأمريكية ومن سياستها الخارجية. ورغم أن بعض الملفات لا زالت تحرج السياسي الأمريكي، على غرار التخوف من الهجرة المتأتية من جنوب القارة، التي غالبا ما اتخذت لونا دينيا كاثوليكيا، حيث أنّ التقديرات ترشّح الكنيسة الكاثوليكية لتكون أكبر كنيسة في أمريكا في القرن الواحد والعشرين، رغم النسق المتزايد لهجران الكنيسة. ولو شئنا تلخيص تاريخ العلاقات الأمريكية الفاتيكانية المعاصرة وتاريخ الثقافة والسياسة بين الطرفين لقلنا هو تاريخ متراوح بين الاقتراب والابتعاد.

في جانب آخر يبرز ماسيمو فاجولي أنّ من مظاهر الخصام المترسّخ بين الولايات المتحدة والفاتيكان ما يعود إلى ما

يُعرف بقرارات «الصلابو» لبيوس التاسع ١٨٦٤، الذي تضمّن إدانة مضمرة للحداثة والديمقراطية الأمريكية، وكذلك للفصل بين الدولة والكنيسة. وتطالعنا كذلك إدانة النهج الأمريكي في رسالة «Testem Benevolentiae» ١٨٩٩ والمعروفة بـ «الهرطقة الأمريكية»، الصادرة عن البابا ليون الثالث عشر. فلا ننسى أنّ الكاثوليكية في أمريكا، طيلة القرن التاسع عشر، كانت تعيش على وقع الرعب الذي عاشته مع الثورة الفرنسية.

ما من شكّ أن مراجعات حصلت في الأوساط الكاثوليكية بشأن النظر إلى النموذج السياسي المجتمعي في أمريكا. وقد ساهم مجمع الفاتيكان الثاني في إخراج الكاثوليك من القبو الذين انحشروا فيه، تعزّز ذلك الصلح بين الكاثوليكية والديمقراطية الأمريكية مع صدور الدستور الرعائي «Gaudium et Spes» (الكنيسة في عالم اليوم/ «فرح ورجاء»)، وكذلك مع إعلان «الكرامة الإنسانية» (Dignitatis Humanae) بشأن الحرية الدينية أثناء انعقاد مجمع الفاتيكان. ساهم كلّ ذلك في إخراج السياسيّين الأمريكان الكاثوليك من دائرة الظل، ويسّر حضورهم في الفضاء العمومي، ومن هذا الجانب شكّل انتخاب بايدن تطوّرا في مصالحة تاريخ الكاثوليكية الأمريكية والبحث عن تلاؤم بين الكنيسة والديمقراطية الأمريكية التعددية.

وعلى ما يرصد الكاتب ماسيمو فاجولي، صحيح بايدن كاثوليكي ورع، ولكنّه كاثوليكي متحرّر من النمط التقليدي. فعلى سبيل المثال يقف مع التغييرات التي تمسّ الشأن الأسري ذات الصلة بمسألة الإجهاض، حتى وإن كان من المواظبين على حضور القداس يوم الأحد. وهو ما جعل مناوئيه من الكاثوليك المحافظين يلوّحون بحجب «الكومونيون» (الاندماج في الجسد الكنسي) عنه، بوصفه متنكرا لمبادئ الكاثوليكية. وتاريخيا ينتمي بايدن (من مواليد ١٩٤٢) إلى «الكاثوليكية الأمريكية البيضاء» التي تحمل وزر خطايا الميز العرقي وحروب الولايات المتحدة في الشرق الأوسط وجنوب القارة الأمريكية.

إذ يبقى بايدن ليس خريج مدارس النخبة الكاثوليكية، ولا مدارس النخبة البروتستانية، بل هو خريج المدارس الشعبية، وهو يجسّد نوعاً من الكاثوليكية التقليدية الورعة والمحافظة والواقعية في آن. فغالبا ما تحدّث في حملته عن المعركة من أجل روح أمريكا. وبشكل عام تُبرز ملامح سيرة بايدن أنّه مسيحي ورع ولكنه ليس محافظا أو تقليديا، أو لنقل هو كاثوليكي «ناضج». وأمّا في الحياة العامة، فهو يعكس فكرة أن السياسة هي مهنة نبيلة، وهي شكل من أشكال الخدمة ورسالة علمانية. ولذلك يؤمن بايدن أنّ الحياة العامة ليست مسرحا، وأن الدين ليس مجموعة ضوابط جامدة.

يصادفنا في الواقع الأمريكي حضور واسع للدين ضمن ما يُعرف بصياغة «الدين المدني»، وبما يفوق ما نجده

في أوروبا، وهي خاصية لازمت التكون السياسي للدولة الأمريكية منذ عهود النشأة الأولى مع الآباء المؤسّسين. ذلك أن الصيغة الأمريكية للدين هي صيغة عملية بالأساس تستمدّ جوهرانيتها من منظور ذرائعي نفعي، وجدَ في ما يُعرف بتحرير السوق الدينية حافزا ودافعا. لذلك كثيرا ما يفاجَأ الأوروبيون بدوْر الدين وحجم تأثيره في الفضاء العمومي في الولايات المتحدة. ويبلغ هذا العنصر مستوى لافتا كلّما اقتربنا من دائرة العمل السياسي. فعلى خلاف التقليد الأوروبي السائد في التعامل مع الدين، كجانب خصوصي خفيّ، يحضر في التقليد الأمريكي بوجه جليّ. وعلى هذا الأساس نصادف في أوساط الدارسين الغربيين انشغالا بالهوية الدينية للدولة، يفوق ما نجده في الأوساط الأوروبية.

حاول المؤلف الإتيان على تاريخ الكاثوليكية في أمريكا والتحولات التي مرت بها مع المهاجرين الأوائل، ثم عرّج على الإسهام العملي للكاثوليك في الواقع السياسي الأمريكي من خلال متابعة السيرة الدينية السياسية لبعض الشخصيات الفاعلة في الحياة السياسية الأمريكية. وبموجب أن الطابع الديني العام السائد في أمريكا هو طابع ذو خلفية بروتستانتية، فقد شكّل الخيار الكاثوليكي نشازا وأقلية، وأحيانا خصما ونقيضا لتوجّه عام. وصحيح حدثَ ظهور للكاثوليكية منذ فترة الرئيس الراحل كينيدي، لكن ذلك الظهور بقي شكليا ولم يتحوّل إلى ظهور فعلي مؤثر. فقد واصل كينيدي التردد على القدّاس بشكل منتظم، ولكنّه غيّر بعض مواقفه، مثل تحوير قانون تمويل المدارس الكاثوليكية وإغفال فرضية ممثّلية دبلوماسية في الفاتيكان، وذلك خشية اتهامه بمحاباة الكنيسة الكاثوليكية. يذكر المؤلف فاجولي أن العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة وحاضرة الفاتيكان لم ترتق إلى أعلى مستوياتها سوى في العام ١٩٨٤، وظلّت طيلة دورة كينيدي ثابتة في موقفها من حاضرة الفاتيكان.

وضمن هذا الإطار العام مثّل الرئيس الأمريكي الحالي جو بايدن حدَثًا دينيًا استثنائيًا في تاريخ الرئاسة الأمريكية، بوصفه ثاني رئيس كاثوليكي بعد سلفه جون كينيدي. فهو لا ينتمي إلى خطّ ديني بروتستانتي تقليدي، بل إلى كنيسة غالبا ما صُنّفت بوصفها مغتربة ومعادية للمشروع الأمريكيّ، لاسيما وأنّ تاريخ مناهَضة الكاثوليكية في الولايات المتحدة هو تاريخ حافل بالخلافات وإلى غاية النصف الأول من القرن العشرين، كما يحوصل فاجولي.

وعلى حدّ رصد الكاتب، ثمة عنصر خلافي يطبع علاقة أمريكا بالكنيسة الكاثوليكية، فهناك إرث ثقيل من الخصومة مع الحداثة يرهق عملية المصالحة بين العلمانية الغربية والكنيسة بوجه عام. وكما يرصد المؤلّف، بعد الحرب العالمية الثانية فقط أضحت الكاثوليكية، في المخيال السياسي الأمريكي، تضاهي البروتستانتية واليهودية، من ناحية المواقف السياسية والاجتماعية والأخلاقية. بَيْد أنّ عدم الثقة بالكاثوليك تواصل في الواقع حتى بعد ١٩٤٥، رغم التحالف المتين الذي أملاه العداء للشيوعية وأوضاع الحرب الباردة.

وفي تتبّع التمشّي الديني للرئيس الكاثوليكي الراحل جون كينيدي، يُبرز الأستاذ فاجولي أنّ الكاثوليكية قد اتّسمت معه بطابع خصوصي أكثر منه بطابع عمومي، وذلك على خلاف ما هو مألوف في الولايات المتحدة، إذ بدا منطويا ومنزويا ضمن حدود السلوك، وتراجعت تلك المسحة التدخلية في الشأنين الاجتماعي والسياسي. كان واقع الأقلية يفرض على الكاثوليكية ألا توغل في إبداء خياراتها المعهودة في الواقع الأوروبي التقليدي، وكانت الكتلة الإيرلندية الكاثوليكية التأسيسية داخل الواقع التأسيسي الأمريكي، برغم صلابتها ومتانتها، لا تكفي لاتخاذ مواقف جذرية صلبة. فقد كان المهاجر القادم من جنوب أوروبا، ذو الخلفية الكاثوليكية، لا يشكل سندا يُعوَّل عليه.

· الكتاب: جو بايدن والكاثوليكية في الولايات المتحدة

· المؤلف: ماسيمو فاجولي.

· الناشر: سكولِه (إيطاليا) «باللغة الإيطالية».

· سنة النشر: 2021.

· عدد الصفحات: 208 ص.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا

التنوير في العصر الحي
كورين بيلوشون

سعيد بوكرامي *

لا يمكن أن نقتصر على استحضار فكر التنوير المستمر في سياق يتسم بإيقاظ القومية والأزمات البيئية والصحية وزيادة التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية والعلمية دون التذكير بأن التنوير أعطى زخما لفن العيش الأوروبي وشعورا بالانتماء إلى الثقافة نفسها. بواسطة أفكار الفلاسفة العظماء الممتزجة بتداول طرق وأساليب العيش الاجتماعي الجديدة ، و انطلاقا من رحلات الرجال المستنيرين ، تمكن التنوير من اجتراح طرائق من التفكير الجديد المراهن على التغيير والمستشرف لمستقبل واعد. لهذا يعُد التنوير من الابتكارات المرموقة في أوروبا، وقد تولد من عالمية التنوير والفكر والعلم وفن العيش والحكم ، وكذلك من العلاقة بين التنوير ووحدة أوروبا على غرار ما سعت إلى تأسيسه الإمبراطورية الرومانية. منذ عصر التنوير ، كانت الوحدة مبنية على قيم وميول عالمية، ولكنها تتمركز حول أوروبا. إنها وحدة عالمية على الطريقة الأوروبية، لهذا كانت مصلحة أوروبا فوق كل الاعتبارات وعلى حساب المبادئ نفسها.

قبل أكثر من مائتي عام من بدايات البناء الأوروبي من قبل الآباء المؤسسين ، شارك عصر التنوير في إنشاء فضاء أوروبي تجاري واقتصادي وثقافي قائم على الهوية المبنية على أُسّ الحضارة الأوروبية ، التي تربط الحكام و الشعوب على وعي مشترك بأن الوحدة تكمن في التنوع. أدرك رجال التنوير ، بمن فيهم الفلاسفة العظماء ، أهمية التجاذب بين الأولوية القومية والمشاعر الأوروبية. و من هذا المنطلق أصبح التفكير في أوروبا في هذا القرن نوعا من إلقاء النظرة الفاحصة والمشخصة على الأسئلة التي لا تزال ذات صلة وأهمية إلى اليوم ، والتي تتعلق بالهوية الأوروبية، كأرض خصبة للمواطنة الأوروبية المحتملة ، و كخطوة أولى نحو الوحدة السياسية. من بين جميع الأسئلة التي ظهرت حول اتحاد أوروبا ، أكد روسو أيضًا أن أهمها وأكثرها تعقيدًا والتي يجب حلها تكمن في محدوديتها. وهربًا من التعريف الواضح لها والاستفادة من الوحدة الاقتصادية لأوروبا ، أدرك فلاسفة التنوير أن الحكام سيؤسسون باستمرار لعبة سياسية بين الهوية الأوروبية والقضايا السيادية. لهذا لا يمكن مواجهة خطر انهيار الحضارة الأوروبية دون التخلي عن العقلانية الفلسفية - العلمية ، ولكن مع مراعاة الاعتماد على الطبيعة وغيرها من الكائنات الحية: هذا هو النهج الذي يقوم عليه هذا الكتاب الساعي إلى محاربة المعادين للتنوير الذين يرغبون في إعادة تأسيس مجتمع طبقي أو ثيوقراطي والرد على اتهامات ما بعد الحداثيين الذين يشتبهون في أن أي كونية لا بد أن تكون ذات طابع مهيمن ، يجب إذن اقتراح تنوير جديد يسعى إلى إعادة النظر في تاريخ التنوير، وكذلك النضال ضد بتر العقل التنويري المختزل اليوم إلى أداة حساب واستغلال. إن هدف التنوير في العصر الحالي ومشروعه لبناء مجتمع ديمقراطي وبيئي هو الإطاحة بمبدأ الهيمنة - هيمنة الآخرين والطبيعة داخل وخارج الذات التي تعكس ازدراء الجسد و الضعف. اتهم التنوير منذ عدة سنوات ، باعتباره رحم الحداثة الليبرالية، من طرف أكثر الأطراف السياسية والنظرية الأكثر تنوعًا ، بأنه مسؤول عن معظم الشرور التي تصيب الإنسانية اليوم ، بدءً من الأزمة البيئية. وبذلك حكم عليه بتهمة الترويج للعالمية الغامضة التي ستكون إما واجهة متواضعة عن عنصرية الدولة ، أو تدفع إلى تقديس الازدواجية الوجودية بين «الطبيعة والثقافة» والتي من شأنها أن تفصل الإنسان الأوروبي عن الارتباط الأصلي ببيئته أو حتى «التشجيع» على الاندفاع المجنون نحو التقدم التكنولوجي الذي سيدمر كل شيء في نهاية المطاف ، لقد استنكر عصر التنوير من قبل تيارات بيئية وسياسية مختلفة، ومن طرف الدراسات ما بعد الاستعمار، ولكن أيضًا من طرف المزيد من الأفكار الرجعية أو «الشعبوية» هو الآن في قلب النقاشات ، سواء كان السعى للدفاع عنه أو مهاجمته ، هذا على الرغم من عدم تحديد خصائصه الدقيقة ووحدته المذهبية الحقيقية. وإدراكًا منها لغموض مشروع التنوير ، تحاول كورين بيلوشون في هذا الكتاب الهام إعادة تفسيره في إطار نظري يتكيف مع القضايا المعاصرة. تسعى الفيلسوفة وعالمة الأخلاق إلى تعميق المواضيع التي طالما كانت مفضلة لديها منذ أعمالها الأولى التي سعت من خلالها إلى تفادي عقبتين. من جهة ، تعترض المؤلفة على الرفض المطلق لبعض محتقري التنوير الذين لم يروا فيه سوى مقدمات للكوارث الحالية والمستقبلية و ممهدات لأخلاقيات الضعف في الإنسان والحيوان والطبيعة ، وقد افترضت بأن «فكرة نشأة الأزمة البيئية التي تعود إلى بدايات عصر التنوير هي تفسير ساذج لتاريخ الغرب ص ٥٢». مادام سيكون ذلك خلطا بين تاريخ الأفكار والتاريخ المادي. ومع ذلك ، لا تتخلى كورين بيلوشون عن اختبارها النقدي «لأسس التنوير» ، الذي لم يف دائمًا بجميع وعود التحرر الفردي والاجتماعي والتي حجبت مفاهيمها التأسيسية أحيانًا وحرّفت أحيانا أخرى. تستعرض الفيلسوفة ، في أكثر من ستة فصول المفاهيم الهيكلية الرئيسية لعصر التنوير ، مستنبطة السبُل لاستخراج المكونات الإشكالية ومقترحة فهما جديدا.

يبدأ الكتاب بفصل عن السؤال الشائك حول العقل ، وهو مفهوم مركزي للتنوير ، لكنه سرعان ما وجد نفسه منحرفًا عن معناه الأصلي ليختزل في الاهتمام بالحفاظ على الذات والسعي وراء المصالح الشخصية فقط. بينما كان فلاسفة القرن الثامن عشر ينظرون إلى العقل في البداية على أنه أداة تسمح بالوصول إلى الحقيقة العالمية والموضوعية ، فقد تحول إلى أداة لقياس الرغبات الفردية ، وتبرير الهيمنة الاجتماعية وسيطرة الإنسان على الطبيعة. تستنكر المؤلفة الاعتماد على نقد عقلانية مفكري مدرسة فرانكفورت ، ذلك المفهوم الذاتي للعقل الذي ساد في الغرب إلى حد تذويب شخصية المواطن في صورة الإنسان الاقتصادي المتطور في الرأسمالية الشمولية. و لمواجهة هذه الغطرسة الحديثة، تعارض كورين بيلوشون أخلاقيات الضعف حيث الإنسان مترسخ في واقعه الجسدي ومحدوديته لبناء عالم قائم على الاعتراف والاعتماد المتبادل والمسؤولية تجاه الآخرين. من نقد الفكر المقلص للعقل تنتقل المؤلفة إلى فصل ثانٍ عن علاقة الإنسان بالكائنات الحية ، الحيوانية أو النباتية. إن استدعاء

فينومينولوجيا هوسرل، وكذلك ميرلو بونتي وهايدغر ، سمح للمؤلفة بأن تمعن النظر في الثنائيات المتناقضة المرتبطة بالتنوير ، مثل التعارض بين الروح والطبيعة ، والذات والموضوع. قد يفكك المنهج الفينومينولوجي هذه الانقسامات العظيمة من خلال إثبات أن الواقع ليس أبدًا معطى ماديًا ثابتًا؛ لأن الوعي البشري من خلال التجربة العقلانية والحساسة ما يؤسس الوعي بشكل دائم. بناءً على هذه الفرضية ، تميز الفيلسوفة «نهجين» ، أحدهما يتمثل في الهيمنة والآخر في التقدير. الأول هو ما يخترق المجتمعات الأوروبية منذ بداية القرن التاسع عشر ويتبع بدقة هذه المخططات الذهنية الثنائية التي فرضت علاقة هرمية بين الكائنات والأشياء. ويجسد نهج الهيمنة نفسه في هياكل ومنطق الرأسمالية المعولمة حاليًا وبشكل متزايد ، وقد أثار تجسيدًا للعمل وشجع كذلك على منظور مفترس للطبيعة. و لمواجهة هذا النموذج الذي تصفه الكاتبة بأنه مهلك حتما ، فإنها تقترح أفقًا لنهج التقدير تكون فيه الاحتياجات الفردية والجماعية في قلب التنظيم الاجتماعي والاقتصادي. ينتهي هذا الفصل بالتشكيك في الإرث القوي لعصر التنوير والثورة الفرنسية اللذين يشكلان قاعدة حقوق الإنسان، التي تقتصر اليوم على «افتراضاتها المسبقة المتمركزة حول الإنسان وازدواجياته وكذلك أسسها الفردية» (ص ١٠٣). يمكن تمييز حقوق الإنسانية عن حقوق الإنسان؛ لأنها ستعيد الاتصال بمفهوم علائقي للموضوع الذي يحتفظ بالعديد من الحقوق أكثر من الواجبات، والساعي إلى السماح بالتعبير عن حريته الإنسانية و انتمائه الاجتماعي والبيئي.

يحاول الفصل الثالث الرد على معضلة تمخضت عن البيئة السياسية ، ولا سيما من قبل روادها الفرنسيين(جاك إلول و برنار شاربونييه وأندري غورز): كيف تعيش بانسجام في عالم مشترك وتصبح في الوقت ذاته مستقلاً؟ إن البحث عن الاستقلال الذاتي ، من خلال الإصرار على أهمية الانتزاع - من إقليم أو تقليد أو مجموعة - يمكن أن يغذي حتما انعدام الثقة فيما يتعلق بأي شكل من أشكال التجذير التي تبدو مع ذلك ضرورية لظهور الوعي بالروابط والاعتماد المتبادل بين الناس وبيئتهم. لحل هذه المفارقة ، طورت الكاتبة مفهومًا للاستقلالية مبني أولاً وقبل كل شيء على «حرية الأفراد في التفكير» (ص ١٢١) تساعد على اجتراح منظور نقدي تجاه نهج الهيمنة ، وبذلك تتيح العودة إلى حياة جيدة داخل المؤسسات العادلة. إن نمط حياة الفلاحين ،المجرد من جوانبه الحداثية والصناعية يصبح إذن أفقًا جديدًا للاستقلالية طالما سيكون عمله مجالًا لتأكيد حريته واستقلاله مع الارتباط الوثيق

بالطبيعية والنظم البيئية المحيطة به.

تدرك كورين بيلوشون أن الأفراد أو الجماعات وحدهم لا يستطيعون إحداث تغيير نموذجي واسع النطاق. لهذا تتساءل في فصلها الرابع عن كيفية بناء مجتمع ديمقراطي وبيئي حقيقي في مواجهة صعود الأحزاب الشعبوية. انطلاقًا من الملاحظة التي مفادها أن النمط التشاوري وحتى التشاركي للديمقراطيات الغربية لا يسمح بالتحقيق الكامل لمشروع التنوير، لهذا تقترح المؤلفة «التخلي عن نموذج السيادة الشعبية» (ص ١٨٢). واضعة مقامها فكرة «الجمهور» ، التي تظهر في عمل جون ديوي وتُشير إلى الأفراد جميعهم المعنيين بالإشكالية نفسها. لذا ينبغي على السلطات العمومية أن تتبنى علاقة أكثر أفقية مع الخاضعين لحكامتها من خلال التشاور وإشراك المجموعات المعنية بشكل منتظم في مختلف المشاريع التي ترغب في تنفيذها. ومن أجل مواجهة المنطق الداخلي لليبرالية الجديدة التي تفضل استخدام السلطة التكنوقراطية والسلطوية ، تقترح الفيلسوفة إبراز دور «الأقليات النشطة» ، مثل المجتمع المدني المدافع عن الحيوانات ، في تطوير أنماط حياة بديلة.

ومع ذلك، لا يمكن تحقيق الاستقلال الفردي والجماعي الذي تعززه المواطنة النشطة بشكل كامل إذا لم يتم التشكيك بشكل جذري في مكانة ودور التكنولوجيا. هذا هو السبب في عودة كورين بيلوشون ، في فصلها الخامس ، إلى التفاؤل الأولي لعصر التنوير تجاه دور العلم والابتكارات التكنولوجية ، كنواقل لتقدم الإنسانية ، كما تستكشف الأسباب التي أدت إلى تغيير هذا الأمل. لا تهاجم الفيلسوفة التقنية في حد ذاتها ؛ لأنها تظل حقيقة أنثروبولوجية لا جدال فيها. ومع ذلك ، فقد تناولت حجة هايدغر التي رآها الأداة الرئيسية للإمساك والهيمنة على الطبيعة والإنسان. وقد أدت سلاسل السببية الأكثر تعقيدًا للظاهرة التقنية إلى إلغاء المسؤوليات الفردية ، حتى لو أدى ذلك إلى أن يصير الإنسان ، غير مبال بالعواقب البعيدة لرغباته البروميثوسية. لذلك تسعى المؤلفة إلى إدراج مفهوم الحدود في استخدامات التكنولوجيا ، سواء من خلال التفكير الأخلاقي في عواقبها المحتملة ومن خلال إيلاء اهتمام خاص للانحرافات والسلوكات الضارة التي يمكن أن تولدها ، خاصة عبر الوسائط الجديدة (الإنترنت).

وأخيرًا ، في الفصل السادس والأخير ، تسعى المؤلفة إلى طرح تصور أفق سياسي جديد لأوروبا بحيث تعود القارة القديمة إلى العالمية مع تجنب أي إغراءات للهيمنة وهذ ما لا نلمسه اليوم؛ لأن الأطماع الاقتصادية والطموح لامتلاك الريادة والقوة ما زالت تغلف المشروع التنويري الأوروبي. في المقابل تقترح الكاتبة تطوير «كوزموبوليتية التقدير والعرفان» على أساس التخلي عن سلطة الدولة ، وتعزيز البناء الأوروبي من خلال تنفيذ التحول البيئي وفتح أبواب المواطنة الأوروبية أمام المهاجرين و اللاجئين والعودة إلى القيم الحضارية الإنسانية؛ لإنشاء مستقبل جديد مبني على وحدة التنوع.

إذا كان هذا العمل يُسلط الضوء على تحديات القرن الحادي والعشرين الذي ما زال تقريبا على الرغم منه ابنا عاقا للتنوير ، فإنه مع ذلك يقدم وبلا شك خارطة طريق، و أرضية نظرية خصبة و مهمة؛ لإعادة فحص النماذج الهيكلية للحداثة الليبرالية ، غير أنه للأسف يفتقر إلى مقترحات بديلة ملموسة لدعم المبادئ العظيمة لعصر التنوير التي أضحت لغموضها وطابعها البراغماتي غير واضحة المعالم أحيانًا، وأحيانا أخرى جوفاء وبدون صدى أو نتائج ملموسة.

- الكتاب: التنوير في العصر الحي
- المؤلف: كورين بيلوشون
- دار النشر: دار سوي. فرنسا
- سنة النشر: 2021
- عدد الصفحات: 223
- اللغة الفرنسية.

*** كاتب ومترجم مغربي**

ما وراء المواجهة: العولمة والقوميون واستياؤهم

فيل مولان

محمد السالمي *

في الأيام القليلة الماضية، حذرت الصين قادة مجموعة السبع من أن الأيام التي قررت فيها مجموعة صغيرة من الدول تحديد مصير العالم قد ولت منذ زمن بعيد. وتأتي هذه التصريحات، في الوقت الذي يسعى فيه القادة، إلى موقف موحد بشأن الصين الصاعدة. هذه التوترات لم تكن الأولى، حيث برزت توترات جوهرية على الصعيد العالمي والتي تؤجج الصدام بين الكيانات الاقتصادية الكبرى خلال العقدين الماضيين. وقد أظهرت التقاطعات في المواجهات استياء دوليًا أقوى من أي وقت مضى سواء بين دعاة العولمة السياسيين أو القوميين أو بين مؤيدي النظام الدولي القائم على القواعد والمؤسسات أو أنصار الحماية العلنية للتجارة. ولاريب أن ردود الفعل في التعامل مع جائحة كوفيد-١٩ أدى إلى تصعيد التوترات الموجودة مسبقًا بين الولايات المتحدة والصين وبين الدول الغربية المختلفة.

يرسم فيل مولان في هذا الكتاب «ما وراء المواجهة: العولمة والقوميون واستياؤهم»، مفهومًا جديدًا يتجاوز المواجهات الخطيرة، ويدعو لبناء مستقبل من التعاون الدولي المفتوح القائم على المشاركة الشعبية داخل الدول القومية. يطرح الكتاب تقييمًا واضحًا للفرص والتحديات للمواضيع الجيوسياسية الكبرى في عصرنا، كما يعيد تقييم نظريات العولمة، ويستبعد الطابع الرومانسي في التدويل الاقتصادي الذي تقوم عليه.

يملك فيل مولان خبرة طويلة في الأدوار الاستشارية في الأعمال التجارية الدولية. وتتناول أعماله البحثية التقاطعات بين الاقتصاد والسياسة، وقد حصد الكتاب على استحسان النقاد، وتم تضمينه في قائمة الفايننشال تايمز لأفضل الكُتب لعام ٢٠٢٠.

يحذر مولان في كتابه من خطر تصاعد التوترات العالمية، حيث يحدد المصادر الأساسية للصراع ويقدم رؤية متفائلة وتطلعية من خلال تحليل تاريخي للأحداث. يبحث الجزء الأول من الكتاب في إنشاء النظام الدولي القائم على القواعد في أعقاب الحرب العالمية الثانية، ويكشف عن عيوبه الكامنة فيه، ويوضح كيف أصبح الآن مصدرًا للصراع بدلاً من الاستقرار. أما الجزء الثاني فهو مكرس لفضح الخرافات حول التجارة والاتفاقيات التجارية، لا سيما دور التجارة في الديناميكية الاقتصادية وكيف يمكن تعديل مسارها مرة أخرى. وفي الجزء الختامي يقدم مولان بعض المقترحات حول كيفية إعادة تصور نهج السياسة الاقتصادية، وما الذي يمكن عمله لاستيعاب التغييرات الضرورية في نوع الثقافة السياسية.

أقدمت دول الحلفاء ما بعد الحرب في هندسة نظام من المؤسسات الدولية، وكانت تأمل في منع تكرار كوارث أوائل القرن العشرين. وبالنظر في الحقائق الدموية للحربين العالمية الأولى والثانية، برزت بشكل جلي الفكرة القائلة بأن الترابط يضمن السلام. كان أحد الجوانب الرئيسية لترتيبات الترابط يتمثل في تنظيم التجارة عبر صندوق النقد الدولي والبنك الدولي والاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة، على أساس أن الحروب التجارية هي التي أدت إلى اندلاع الحروب في الماضي. في الواقع، وكما يجادل مولان، كانت الاختلالات بين الوزن الاقتصادي والنفوذ السياسي هي المحركات الرئيسية للتوتر. ويمكن القول أن جذور الحرب العالمية الثانية تكمن في الفشل في حل التناقضات التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى. وفي الوقت الحاضر، ومع تحول القوة الاقتصادية باتجاه الشرق، وبروز مثل هذا التفاوت في التوازن، يُطرح تساؤل إلى أي مدى تستطيع الدول الالتزام بالنظام الدولي لتجنب الصراع.

يرى مولان أن قدرتنا على الفهم والاستجابة لهذه المتغيرات يعيقها الغموض وسوء الفهم للعولمة والتجارة الدولية. على سبيل المثال، تشير الرواية التقليدية، إلى أن نموذج الحمائية العدوانية التي انتهجتها الولايات المتحدة في عهد الرئيس دونالد ترامب تجاه الصين، يمكن تجنبها وحلها عبر الالتزام التام بالنظام الدولي القائم على القواعد. يُفهم على نطاق واسع، أن توسيع نطاق القواعد والنظم العالمية والاتفاقيات التجارية وإنفاذها على أنها الطريقة الوحيدة لاحتواء حروب التعريفات الجمركية، وتهدئة المنافسات، وتعزيز الاستقرار والازدهار. وفي المقابل، يرى مولان أن الهوس بالقواعد المعمول بها يعيق التغيير، والانشغال بالتجارة يصرف الانتباه عن المصادر الحقيقية للمشاكل الاقتصادية. إن السياسة وإمكانية الحرب ليست ثابتة ولا تحدد فقط من خلال الاعتبارات الاقتصادية. وبالتالي، فإن الترابط الاقتصادي ليس رادعًا للصراع، ويمكن أن يصبح مصدرًا متوترًا للاحتكاك.

يُشير الكاتب إلى أنه غالبًا ما يتم إلقاء اللوم في المشكلات الاقتصادية والبطالة في الداخل على التجارة، وتدفق رأس المال والعمال عبر الحدود. وبالتالي، أدى تباطؤ الإنتاجية والتوسع الهائل في الديون وسلسلة من حالات الركود في الغرب التي بلغت ذروتها في الانهيار المالي في عام ٢٠٠٨ إلى إثارة منافسة أكثر شراسة بين البلدان الرأسمالية المتقدمة. في ظل هذه الخلفية التنافسية، أدى التحول في ميزان القوى الاقتصادية من الغرب إلى الشرق، وخاصة صعود الصين، إلى زعزعة النظام القديم بشدة. رداً على ذلك، تشبثت القوى المتراجعة بشكل عملي إلى الهياكل والنظم القائمة التي أنشأتها ولا تزال تشرف عليها، رغم أنها غالبًا ما تتعارض مع بعضها البعض في هذه العملية. وفي الوقت نفسه، ومن جانب القوى الصاعدة، فقد كانت مستبعدة عمومًا من مناصب السلطة في تلك المؤسسات، أصبحت تتحدى بشكل انتقائي الإطار القديم. وشمل ذلك إنشاء منظمات دولية جنبًا إلى جنب مع المنظمات القائمة. ونتيجة لذلك، يتم توجيه الصراع بين البلدان من خلال الاعتماد المتبادل، بدلاً من احتوائه. ويمكن الإشارة إلى أن الروابط الأوثق أصبحت توفر وسيلة

لتعزيز المصالح الوطنية على حساب الآخرين. على سبيل المثال، تستخدم أداة العقوبات الاقتصادية للضغط على الدول المُستهدفة. وفي مثال آخر، فرضت اليابان قيودًا على المواد الكيميائية الرئيسية التي تحتاجها صناعة تكنولوجيا المعلومات في كوريا الجنوبية ردًا على مطالب كوريا الجنوبية المستمرة بتعويضات الحرب العالمية الثانية. ومع ذلك، فإن المفهوم القديم القائل بأن الترابط الدولي هو عامل استقرار لا يزال قائمًا في أطروحة العولمة اليوم، وتحصل على دعم هائل خاصة من قادة العولمة الذين يديرون معظم الدول الغربية. ولكن تبني مثل هذه المقاربات خاصة في السعي لتحقيق الاستقرار الدولي عبر النظم والقواعد الحالية هو أحد الأوهام الكبرى وتعمد في تسريع عدم الاستقرار. يرى مولان أنه يجب طرح الأفكار ليس فقط للتوقعات والممارسات السائدة للعولمة ولكن أيضًا لنقيضها المفترض والمتمثل في فكرة أن التجارة تولد الثروة وأن الحمائية الحكومية تُساهم في تراكم التوازنات التجارية المربحة.

اكتسبت العولمة بعض المصداقية باعتبارها وصفًا لاقتصاد عالمي أكثر تكاملاً، مدعومًا بالتطورات التكنولوجية والاستهلاك والتمويل وإعطاء الأولوية لقوى السوق. تشير الأنماط المؤقتة للعولمة إلى حقبة جديدة في الشؤون الإنسانية، مثلما حددت الثورة الصناعية وتوسع الغرب في القرن التاسع عشر عصرًا جديدًا في تاريخ العالم، فإن الرقاقة الدقيقة والقمر الصناعي هما اليوم أيقونات لموقف تاريخي جديد. أما اليوم وكما يشير مولان كون العولمة امتدادًا كميًا أو نوعيًا للتدويل الاقتصادي، فهي نقيضها سياسيًا. حيث أنه في التطبيق السياسي، تفضل أطروحة العولمة التكنوقراطية على الديمقراطية وكذلك هيمنة المؤسسات فوق الوطنية على الدول القومية. وكما يؤكد مولان، يتمثل الخطر الأساسي للتفكير العولمي في أن استبعاد السياسات الوطنية يجعل العالم أكثر خروجًا عن السيطرة وأقل يقينًا. إن الإيمان بتقويض السلطة الوطنية من خلال العولمة يأتي بنتائج عكسية لحل مشاكل العالم الحقيقية.

عندما يُسند السياسيون الوطنيون مسؤولياتهم إلى هيئات وآليات عالمية، فإنهم يجعلون أنفسهم غير فعالين بشكل متزايد. فالقواعد والحدود التي تفرضها الهيئات الدولية تجعل الحكومات الوطنية أقل قدرة

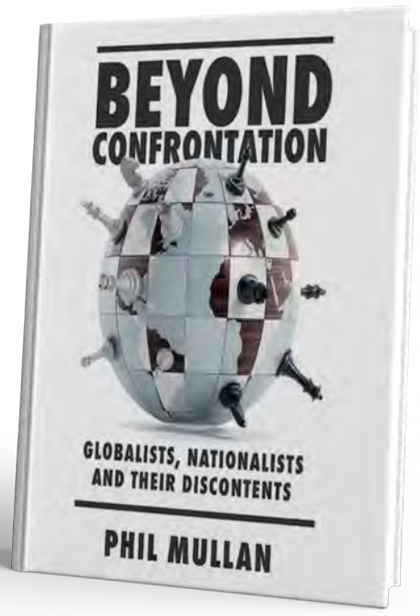

على العمل المستقل. على سبيل المثال، في مطلع الألفية ، وافقت عشرات الحكومات من الاتحاد الأوروبي على استخدام اليورو بدلاً من عملاتها الوطنية. وكانوا يأملون أن يؤدي هذا إلى تحسين استقرار العملة، وإزالة الظروف في السياسات الاقتصادية الوطنية أو ارتباطها بالدولة القومية، كما كان هذا نموذجًا أوليًا لعملة عالمية. في غضون عقد من الزمان، حطمت أزمة منطقة اليورو أوهام القدرة على التغلب على المواطن. في الواقع، لا تزال المشاكل والاختلافات الاقتصادية الوطنية ذات أهمية كبيرة. ولكن بحلول ذلك الوقت، رأت الحكومات، وأبرزها اليونان، أنها عاجزة في مواجهة الفوضى الاقتصادية. وبسبب إطار عمل اليورو، لا يمكن للحكومات أن تلجأ إلى تخفيض قيمة العملة أو تقرر مقدار الاقتراض لإخراج نفسها من الفوضى. كانت محنة عجز الدولة القومية نتيجة لمبادرات العولمة.

في الختام، يقدم الكتاب بعض المقترحات حول كيفية إعادة تصور نهج السياسة الاقتصادية التي عفا عليها الزمن. ولتحقيق ذلك، يُشير مولان أن الدول القومية الغربية تحتاج إلى العمل في ثلاثة مجالات رئيسية: أولاً، وقف السياسات والآليات التي عززت شركات الزومبي (الشركات المثقلة بالديون وغير قادرة على سدادها، ولا يكفي دخلها إلا لتغطية النفقات)، وإفساح المجال لنمو جديد واستثمار منتج وهي خطوة مؤلمة ولكنها ضرورية. ثانيًا، تحفيز الاستثمار في الابتكار والأعمال والقطاعات الجديدة لتوفير مصادر مستقبلية لنمو الإنتاجية والازدهار وتوليد فرص عمل أفضل. ثالثًا، توفير الدخل وغيره من أشكال الدعم للعمال وأسرهم أثناء انتقالهم من وظائفهم غير الآمنة ذات الأجر غير الكافي إلى وظائف عالية الإنتاجية ذات أجور أفضل. ولأن التجديد الاقتصادي لا بد أن يكون عملية مؤلمة، فإن تنفيذها الناجح يتطلب التزامًا شعبيًا ومساءلة حكومية. يشن مولان دفاعًا قويًا عن الدولة القومية باعتبارها القناة الفعالة الوحيدة للمشاركة الديمقراطية والمساءلة الحقيقية حسب وصفه. على الرغم من ادعاءات العولمة الديمقراطية، فإن رفضها للدولة القومية والسيادة الوطنية يضر بشكل أساسي بتنشيط الديمقراطية. وبدون استعادة الديمقراطية التشاركية النشطة، يفقد المجتمع الوسائل الضرورية لتغيير العالم إلى الأفضل. حيث يعتمد وقف الانجراف إلى الحرب على تعاون أنظمة سياسية وطنية قوية ومستقلة وديمقراطية. وعلى النقيض من ذلك، فإن المجتمعات الضعيفة حيث يبدو أنه لا مفر من التبعية وحيث يشعر معظم الناس بالتجاهل والابتعاد عن السياسة تكون عرضة للصراع الدولي. يمكن استغلال المخاوف واليأس بسهولة في إلقاء اللوم على الأجنبي سواء كان المهاجر من سوريا أو غانا أو الهند.

ما يميز مساهمة مولان، هو إزالة الغموض عن التحليل التاريخي الذي يحدد المصادر الأساسية للصراع، ويقدم رؤية متفائلة واستشرافية. كتاب «ما وراء المواجهة» هو إضافة مهمة لعلم الاقتصاد السياسي، ويجب قراءته على نطاق واسع، ولا يقتصر الكتاب على صُناع القرار، والقادة السياسيين من الأطياف المختلفة. ويعيدنا إلى التفكير من جديد في العلاقات الدولية والسياسة الاقتصادية والديمقراطية الشعبية، حيث يقدم حجة قوية للاعتراف بأهمية الأمم كأساس للتماسك الاجتماعي وأهمية الرقابة الديمقراطية.

- عنوان الكتاب: ما وراء المواجهة: العولمة والقوميون واستياؤهم
- المؤلف: Phil Mullan
- الناشر: Emerald Publishing
- سنة النشر: 2020
- اللغة: الانجليزية
- عدد الصفحات: 256 صفحة

*** كاتب عُماني**

طريق عبر الزمن والأرض: تقاليد الرحلات في روسيا

فلاديمير كورشنكوف

فيكتوريا زاريتوفسكايا *

يستكشف الكتاب موضوعًا ظريفًا لم يسبق البحث فيه بهذه الشمولية والدقة من قبل، أي تقاليد الرحلات الروسية. ويتبع الكاتب موضوع بحثه وفقًا لمواد ووثائق عديدة مؤرخة من النصف الأول من القرن السابع عشر وحتى القرن العشرين. وللحصول على دراسة شاملة مدعومة بأحاديث ومقولات ماتعة حول طرق روسيا وما حولها، يلتجئ المؤلف إلى الحقائق التاريخية والإثنوغرافية والفولكلور والمصادر الأدبية والصحفية، والمذكرات والوثائق الأرشيفية الفريدة، ناهيك عن الأقوال والعبارات المأثورة المرتبطة بمفهوم الطريق.

كما ينظر في عدد من القضايا تبدو من الوهلة الأولى بعيدة عن الموضوع كالإدارة العامة وعلم النفس، ولكن الحقيقة أنها وثيقة الصلة بالطريق والتنقل من جهة الصراعات على الطرق الروسية والخصائص الإقليمية لتصميم وصيانة الطرق، وتصور أعباء الطرق من قبل المسافرين إلى جانب حزمة متنوعة من المخاطر التي تنتظر المشاة والسائرين، وذلك بالإضافة إلى ما تتميز به رحلات الزفاف من متعة الوصف مع غيرها من جوانب الحياة المرتبطة بالتنقل بين أنحاء روسيا.

يبدأ الباحث الإثنوغرافي الروسي فلاديمير كورشنكوف موسوعته عن تقاليد التنقل عبر الطرق الروسية بتاريخ رحلات القياصرة الروس إلى المحافظات البعيدة لمعاينة شؤون الدولة. لقد تم تعزيز هذا التقليد من قبل أبناء الإمبراطور بافيل الأول، ألكسندر الأول، الذي طرد جيوش نابليون من روسيا عام ١٨١٢، وأخيه نيكولاي الأول الذي تولى العرش من بعده، حيث اعتبرا السفر والتنقل عبر البلاد واجبا ملكيا لهما. يقول المؤلف «سافرا كثيرًا وطرقا دروبا طويلة، في بعض الأحيان كانا يخاطران بحياتهما سحقا تحت عربة انقلبت في هاوية» (ص: ٥٦٦).

لقد نسينا بالفعل أنه قبل بضعة عقود فقط لم يكن ركوب عربة أو مزلقة أو ركوب الخيل أقل تهديدًا للحياة من التنقل على الطرقات السريعة على متن دراجة نارية أو سيارة سباق. نعم كانت هناك حوادث تدهور كثيرة وانقلابات وانهيارات مفاجئة، وكانت الخيول حين يتملكها الفزع تندفع بسرعة جنونية ينجم عنها حوادث كارثية.

وفقًا لشهادة مؤلفة اليوميات الليتوانية المعروفة صوفيا تشويسول- جوفيير التي صادف لها أن تحدثت مع الإمبراطور ألكسندر الأول عام ١٨٢٢ عن رحلاته، فإن إجابة الإمبراطور عن سؤال حول إمكانية أن تقوم روسيا بتوسيع الإمبراطورية وجعلها مستديرة وذلك بغزو الصين كانت كالتالي: «كلا، إن إمبراطوريتي مستديرة حقا وفكرتك لا علاقة لها بالسياسة. روسيا شاسعة كفاية، كما أن المسافات الطويلة بين المقاطعات تبطئ الاتصالات. وهذه الظروف تُعرقل تقوية النظام وتضعف السلطة المركزية. لا حاجة لنا لغزو أحد فنحن نُعاني مما لدينا بشدة» (ص: ١٧)

إن هذه الكلمات التي قيلت قبل ٢٠٠ عام على لسان القيصر تغني التفكير في هيكلية الدولة انطلاقا من حجمها وفعالية السيطرة التي تتحقق للبلاد جراء ذلك. وحسب المؤلف لم تكن الدول في ذلك الوقت قادرة على فرض سيطرتها على المناطق التي يتجاوز نصف قطرها ٤٠٠ كيلومتر. وكان متوسط نصف قطر الدولة الأوروبية في بداية القرن الثامن عشر أقل من ذلك ما عدا روسيا. وحتى الآن يُثار في الدوائر السياسية الروسية من وقت لآخر السؤال حول مدى قوة السلطة المركزية في البلاد.

إن مسألة حجم الدولة لها جانب اقتصادي. يلاحظ كورشانكوف محقا أنه، وقبل اختراع السكك الحديدية، كان التغلب على المساحات البرية أكثر صعوبة من المساحات البحرية؛ ففي وقت السلم كان نقل البضائع من أرخانجيلسك، المدينة الروسية الشمالية، عن طريق البحر إلى لندن أسرع وأرخص من توصيلها من أرخانجيلسك برا إلى موسكو. لذلك، وبقدر ما يبدو في الأمر من تناقض، لم تكن الطرق الروسية ذات فائدة لإنعاش الاقتصاد المحلي، ولهذا السبب أيضًا لم تشهد روسيا معجزة اقتصادية.

وبما أن السؤال يمتلك أهمية راهنية، وله علاقة بالمستقبل، يتعمق الباحث في الأفكار الفلسفية حول ما إذا كانت الأراضي الشاسعة تُشكل ميزة للبلد أم عبئا عليها. يستشهد المؤلف بوجهة نظر واسعة الانتشار مفادها أن «اتساع روسيا هو ميزتها التي لا جدال فيها. الأرض لا حد لها وحقول الغابات لا حصر لها، والموارد هائلة. إنها أيضًا ورقة رابحة في القتال ضد عدو خارجي. فإلى أن يصل نابليون أو هتلر، وهما ينشران عدتهما وعتادهما على طول الحدود، إلى موسكو سيكون بمقدور الشعب أن يجمع قواه كما سيتكفل الصقيع بإلحاق ضرر مميت بالعدو». ومع ذلك يكتب المؤلف: «من حيث الجوهر فروسيا عبارة عن مساحة فارغة ضخمة تشتعل فيها الأضواء النادرة للمستوطنات البشرية هنا وهناك. ترتبط هذه الجزر ببعضها البعض فقط عبر خيط رفيع من الطرقات، يستحيل من خلاله اتخاذ خطوة زائدة إلى اليمين أو إلى اليسار. إن الطريق هو فكرتنا الوطنية وجزء مهم من حمضنا النووي الجمعي».

لإظهار الطريق كتجربة روحية يقدم المؤلف فصلًا يوضح فيه أن جميع عظماء روسيا أحبوا السفر: ليرمونتوف، غوغول، تولستوي، دوستويفسكي، غوركي وتشيخوف الذي سعى يائسا لاكتشاف شبه جزيرة سخالين في أقصى شرق روسيا. يحاول الباحث الإجابة عن أسئلة من قبل: ما هو السبب الحقيقي وراء أسفار العظماء؟ لماذا أصبحت انطباعاتهم أساسًا للعديد من الأعمال الأدبية؟ لماذا كُتبت بعض الأعمال، على سبيل المثال «سوناتا كرويتزر» لتولستوي، بصيغة اعتراف من مسافر لجلسائه؟

فالسفر، وفقًا لاستنتاج المؤلف، هو انقطاع وجودي حين «يتجاوز المرء العتبة ويخرج من شبقه المادي المعتاد، ويجد نفسه وحيدًا أمام عالم ضخم مجهول» (ص: ٢٩٦).

ولإظهار تفاصيل الطرق في روسيا يجد المؤلف في القاموس الوطني كلمات ومفاهيم يصعب ترجمتها إلى لغات أخرى، على الأقل نقلها المباشر في كلمة واحدة. هناك على سبيل المثال مشكلة شرح كلمة روسية تنطق (اللا طريق) وتعني (الطرق الوعرة). هنا ثمة تناقض بالنسبة للأجنبي ولكن ليس للوعي الروسي. فمفهوم الطرق الوعرة نشأ في الذهن الروسي في نفس الوقت الذي نشأ فيه مفهوم الطريق نفسه، فالطريق لكي يتمتع باسمه، يجب أن يكون سالكًا، أما وإن كان وعرًا فهو لا طريق، وإن نحن سلكناه مضطرين فإننا نسلك شيئًا نكرة. وقد كتب الأديب الشهير أنطون تشيخوف، الذي عبر عام ١٨٩٠ سيبيريا بأكملها إلى المحيط الهادئ في فصلي الربيع والصيف، كتب في إحدى المراسلات لصحيفة نوفوي فريميا (الوقت الجديد) عن الترميم الساذج لطرق منطقة سيبيريا الكبرى، وينتهي بهذا الوصف: ستسقط الثلوج وتغطي الطريق بالمطبات التي ستأرجحك حتى تصاب بدوار البحر وهذا لا يحدث إلا هنا، ثم يأتي الربيع ومعه الطين، ثم ترمم الطرق مرة أخرى - وهكذا من سنة إلى أخرى». (ص: ١٣٦).

يستشهد الباحث بمذكرات ورسائل وانطباعات أجانب سافروا في البقاع الروسية. في منتصف خمسينيات القرن السادس عشر زار بطريرك أنطاكية مكاريوس الثالث روسيا للمرة الأولى، وكان ابنه بولص الحلبي ضمن حاشيته وهو من قام بوصف هذه الرحلة. يقول المؤلف مستقيا من بولص: «الجنوبيون العرب، الذين يشكلون غالبية الحاشية عانوا بشدة من صقيع الشتاء. يرصد بولص الشتاء الروسي بالتفصيل وبصورة معبرة. كان عليهم أيضًا السفر على طريق شتوي في وسط روسيا وبالتالي أولى بولص اهتمامًا خاصًا بطريقة تنقل المزالق الغريبة. ووفقا له، فإن الثلوج الكثيفة في أراضي موسكو تتساقط منذ بداية صيام الميلاد ولا تتوقف عن التساقط حتى أبريل: «إنه يتجمد طبقة تلو الأخرى، وعندما يكون الصقيع شديد البرودة، فإن الطرق من كثرة السير عليها تكون مغطاة بالجليد وتصبح مثل كتلة من الرخام. أما الحقول، فقد أصبحت غير سالكة بسبب وفرة الثلوج

التي تكون أعلى بضعة مرات من قامة الإنسان» (ص: ٢٢٤).

تجدر الإشارة إلى أن بعض الضيوف القادمين من الشرق قد لعبوا دورًا إيجابيًا في إصلاح الطرق الروسية التي ظلت مهملة أمدا طويلا، ومن بين أولئك الضيوف الفيل الذي أهداه خان بخارى للقيصر الروسي. «تم إدراج ملاحظة عن دور الفيل في إصلاح الطرق الروسية والجسور الضعيفة عام ١٨٤٩ من قبل الأديب الروسي إيفان آكساكوف المعروف أيضًا بكونه زعيم ومفكر حركة السلافوفيليا التي كانت تدعو إلى وحدة الشعوب السلافية، ومعارضته للمؤثرات الأوروبية على المجتمع. كان آكساكوف وقتذآك في مدينة ريبينسك على نهر الفولغا. وكان الفيل يمر بريبينسك، وبتعبير أدق فقد أبحر الفيل على طول نهر الفولغا في قارب وجاء جميع سكان المدينة، بمن فيهم أكساكوف نفسه، ليراقبوا المشهد المذهل عند الرصيف حيث رسى ذلك القارب. «من المضحك - يكتب آكساكوف - أنه قام في كثير من الأماكن بصيانة طرق كانت قبل ذلك الحدث شبه مدمرة. مشى بعدها إلى نيجني نوفغورود سيرًا على الأقدام، ولأنه كان جبانًا للغاية، صعد إلى الجسر وشعر باهتزازه فتقهقر إلى الوراء. عاد فورًا إلى الوراء. عندئذ لم يكن أمامهم سوى أن يبنوا جسرا متينا ليبعدوا مخاوف الفيل» (ص: ١٨١)

والحال كذلك لم يجد الباحث بدءً من إيفاء الخيول حقها فخصص لها فصلا كاملا شرح فيه كيفية سرج الخيول وتجهيزها: ثلاثة بصف واحد أو واحد خلف الآخر. هناك من لا يمتلكون الحق في تسخير أكثر من حصان واحد، وغيرهم يسافرون بثلاثة أحصنة لاكتساب الاحترام. كما يتناول المؤلف مسألة سرقة الخيول، وهي مسألة وردت في أهم الكتب الفقهية «روسكايا برافدا» - أساس القانون الروسي الأول العائد إلى القرن الحادي عشر، باعتبارها جريمة بالغة الخطورة، تتبعها عقوبة شديدة تضمنت مصادرة جميع ممتلكات الجاني وطرده مع عائلته من القرية، مرة وإلى الأبد. إن سرقة الخيل وإضرام النار كانا أبشع الجرائم التي يمكن أن يُقتل المجرم عليها من قبل الفلاحين بلا محاكمة.

خصص المؤلف فصلًا من الكتاب للتقاليد والعادات القومية المرتبطة بالتنقل وأهمها ما يسمى قطار الزفاف. فحركة الزفاف لا تعني التنقل في الفضاء بقدر ما تعني في حالة العروسين تغيير وضعهم المعيشي والانخراط في حياة جديدة. لذلك كان يُنظر إلى أي مشكلة قد تطرأ في مسار الزفاف كفأل سيء للعروس والعريس، باختصار كان يجب أن تتم كل هذه الرحلات بسرعة ودون عوائق، حتى لا يتمكن السحرة ومختلف أنواع الأرواح الشريرة من إيذاء الأشخاص الطيبين. وسرعة السفر في حفل الزفاف هي سمة مميزة لها. وهي أيضًا جزء لا يتجزأ من ثقافة الطريق وثقافة السفر التقليدية وثقافة التنقل الشعبة، والتي بدأت مؤخرًا دراستها من قبل علماء الثقافات القومية.

يذكر أن هذا الكتاب كان وراء ظهور موسوعة عن الحياة الروسية التي تتمتع بالغنى الجغرافي والثقافي والتي يتجلى فيها الأرضي بالأسطوري بصورة جديرة بالتأمل والمغامرة.

· الكتاب: طريق عبر الزمن والأرض.

· المؤلف: فلاديمير كورشنكوف .

· دار النشر: ريدكايا بتيتسا/ موسكو/ 2020.

· اللغة: الروسية.

· عدد الصفحات: 642.

* أكاديمية ومستعربة روسية

رابطة المسلمين في تاريخ كيرالا لـ أن. بي. تشيكوتي

فيلابوراتو عبد الكبير *

من الأحزاب السياسية المُعترف بها من قبل لجنة الانتخابات الرسمية في الهند رابطة المسلمين، تعود جذورها إلى الهند البريطانية. ويمكن تقسيم نشاطاتها إلى مرحلتين، مرحلة ما قبل تقسيم الهند ومرحلة ما بعد تقسيمها. أمّا الكتاب الذي نعرضه الآن فهو دراسة مرتكزة على نشاطاتها في مرحلة مابعد تقسيم الهند وإسهاماتها في مجال تحقيق أحلام الأقلية المسلمة في الهند وفي الدفاع عن حقوقهم الدستورية مع الإشارة إلى عدد من مواطن ضعفها في بعض مواقفها السياسية وكذلك إلى فشل استراتيجياتها في قضايا حاسمة.

تأسس هذا الحزب باسم رابطة المسلمين لعموم الهند عام ١٩٠٦ للدفاع عن حقوق المسلمين في العهد البريطاني. كان للرابطة دور كبير مثلما لحزب المؤتمر في الكفاح في سبيل استقلال البلاد من الاستعمار البريطاني إلاّ أن جُلّ همومها كانت في تلك الحقبة مرتكزة على مواجهة حزب المؤتمر الذي سيطرت عليه الأغلبية الهندوسية مما خافت منه الرابطة أنه قد يؤدي بالدولة الجديدة التي تتشكل بعد استقلال البلاد إلى اتخاذ سياسة تضرّ مصالح الأقلية المسلمة. خلال فترة ١٩٣٤ - ١٩٤٧ ناضلت الرابطة بقيادة محمد علي الجناح (١٨٧٦ -١٩٤٨)من أجل تحقيق حكم ذاتي للمسلمين في الهند ثم من أجل إقامة دولة مُستقلة. وأخيرا اضطر حزب المؤتمر ليخضع لمطالبة الجناح بتقسيم البلاد حتى أتت باكستان في حيز الوجود عام ١٩٤٧م. بعد تقسيم الهند استمرت نشاطات رابطة المسلمين في الهند بتعديل طفيف في اسمها بالرغم من رغبة القيادة الباكستانية في حلها؛ فأصبح اسمها رابطة مسلمي الهند المتحدة(Indian Union Muslim League) بدلا من اسمها القديم «رابطة المسلمين لعموم الهند (All India Muslim League). وبعد تقسيم البلاد وهجرة معظم قيادة الرابطة في شمال الهند إلى باكستان اقتصرت نشاطاتها في ولاية كيرالا وتامل نادو رغم بقائها اسميا على نطاق عموم الهند. وهي الآن قوة سياسية لا يستهان بها في كيرالا حيث شاركت في تشكيل الحكومة مرارا بالتحالف مع الأحزاب الأخرى. بعيدا عن افتراضات غير حقيقية يقوم الصحفي اليساري البارز أن. بي. تشيكوتي بإلقاء الضوء على دور حزب المسلمين هذا في مسار سياسة كيرالا وبتقييم مواقفها من قضايا متعددة في تاريخها الطويل. ويتميز هذا التحليل السياسي بأنه أول دراسة في اللغة المالايالامية يقوم بها كاتب صحفي يساري من خارج الملة الإسلامية.

وفي الفصول الأولى يلتفت الكاتب إلى خلفية تشكيل الرابطة من جديد بعد تقسيم الهند مع تسليط الضوء على الفكرة المتجذرة في وعي مسلمي كيرالا وتراثهم حول الدولة وعلى جروح تقسيم البلاد والتعقيدات المترتبة عليه. وبعد تقسيم البلاد اجتمعت اللجنة الوطنية التابعة للرابطة في ديسمبر ١٩٤٧ في كاراتشي للتشاور حول مستقبل الحزب في الهند. ولكن كثيرًا من أعضاء اللجنة ابتعدوا عن الاجتماع وكانوا قد قدموا الاستعفاء من الحزب، وكانت بعض اللجان المحلية في شمال الهند قد حلّت. وكان ممن شارك في الاجتماع محمد إسماعيل رئيس اللجنة في منطقة مدراس ومساعده عبد القادر جمالي مع عدد قليل من أعضاء آخرين. شاركوا فيه بإذن من حكومة الهند الوطنية. واتخذ الاجتماع قرارا يفيد بتشكيل حزبين مستقلين في كل من الهند وباكستان بعد حل الرابطة بعموم الهند. واختير محمد إسماعيل مسؤولا لتنظيم الحزب من جديد في الهند، ولم يتقدم أحد ممن شارك في هذا الاجتماع غيره ليتحمل هذه المسؤولية. وعرض الاجتماع على محمد اسماعيل ١٧ ألف روبية من أصل ٤٠ ألف روبية موجودة في صندوق الرابطة في بنك كراتشي إلاّ أن محمد إسماعيل امتنع من استلامها تفاديًا لتهمة قد تُنسب إليه فيما بعد أنه تقدم لتشكيل الحزب حرصاً على أموال من باكستان. ووضّح محمد إسماعيل في الاجتماع أن سياسة الحزب الجديد في الهند ستكون مستقلة تمامًا عن سياسة الشق الباكستاني في جميع الأمور ولن تكونَ تابعة له في أي معنى. وهذا الموقف يدلّ على نظر محمد إسماعيل البعيد والرشيد وعلى شفافية موقفه. وبعد ثلاثة أشهر من هذا الاجتماع انعقد اجتماع آخر للأعضاء المتبقين الهنود في لجنة الرابطة في قاعة راجاجي في مدراس، فلم يشارك فيه إلا ٣٠ عضوا من أصل ١٤٠ عضوا، وكان أكثرهم من ولاية مدراس (حاليا تاميل نادو). كانت حكومة الهند وقياديو حزب المؤتمر مثل نهرو لا ينظرون إلى هذه التحركات بعين الرضا. حتى إن بعض الأعضاء داخل الحزب أيضاً كانوا يُفضّلون أن ينضم المسلمون إلى أحزاب أخرى بدلا من إحياء الرابطة من جديد. وتقدم في الاجتماع حسن كويا، أحد الأعضاء من حلقة التُجّار في كاليكوت بقرار يطلب بموجبه تعطيل أنشطة الرابطة بتاتاً في الهند. ولكن أغلبية الحاضرين من منطقة مليبار لم يوافقوا على هذا القرار. وفي النهاية توصل الاجتماع إلى قرار يفيد باستمرار نشاطات الرابطة في الهند بتركيزها رئيسيا على المجالات التربوية والاقتصادية والاجتماعية. وفي تشييد الرابطة على قواعد راسخة بسياسات حكيمة دور مذكور لمحمد إسماعيل. منذ البداية كانت الاستراتيجية التي اتخذها في هذا الصدد السعي قدر الإمكان للتحالف مع أحزاب أخرى، ونجح فيه إلى حد كبير في ولايته تاميل نادو وولايات أخرى من ممباي وكيرالا مما نال الحزب من خلاله عددا من المقاعد في الانتخابات التي جرت لمجالس التشريع في تلك الولايات، حتى فازت مرة بمنصب وزير في حكومة مان موهان سينغ. نقرأ تفاصيلها في الفصول الأولى من الكتاب.

مثلما للحزب الماركسي لرابطة المسلمين أيضا حضور قوي بقواعدها الشعبية العريضة في ملعب السياسة في كيرالا، والهيمنة التي يتمتع بها الحزب الماركسي على المجتمع في كيرالا نراها تتمتع بها الرابطة أيضاً من خلال قواعدها المتشكلة من منظمات دينية وجاليات في الدول الخليجية وطبقة من أثرياء ورجال روحانيين داخل الملة ومن خلال خدمات اجتماعية تقوم بها الرابطة في الحياة العامة. وقد نجحت في أن تُبهر قوتها الضاغطة سواء بوجودها في التحالف اليساري بقيادة الحزب الشيوعي أو في الجبهة الديموقراطية المتحدة بقيادة حزب المؤتمر. وفي الوقت نفسه لم تكن هناك دراسات جادة في تحليل مدى فعاليتها في عملية تحديث رؤى الأقلية المسلمة وتحقيق حقوقها الشرعية. وجدير بالذكر أن الغالب الأعم الذي يؤيد الرابطة هم أتباعها من الطبقة السفلى في المجتمع. كيف وإلى أي حد تمثلهم الرابطة فيما يتعلق بمصالحهم؟ كم هي مخلصة في مقاومة الإجراءات القمعية والاضطهادات التي تواجهها الأقلية المسلمة في الهند؟ هل اهتمت الرابطة بمسؤوليتها في أداء عملية التحديث بين المسلمين مع حفظ هويتهم الثقافية؟ هذه أشياء لم يتطرق إليها أحد بجدية. يخوض المؤلف في أروقة هذه الحقائق بغير أحكام مسبقة. ثمة من يُعجَب بإنجازات الرابطة في مجال السياسة كما أن هناك منتقدين يقومون بتعتيم دورها كله في إحراز التقدم للمسلمين في شتى المجالات في كيرالا وفي توفيرهم الفرصة للحصول على الوظائف الحكومية. بمعزل من هذين الاتجاهين، كما يقول مقدم الكتاب كونجامو، يضع

المؤلف حزب الرابطة في مكانها الصحيح مرورا بحالاتها الحقيقية التاريخية. حين يقوم بإبراز نشاطاتها ينتقد أيضا مواقف حزبي المؤتمر والشيوعي الماركسي الذين تحالفا مع الرابطة في حين وفارقاها في حين آخر. ومعناه أن الكتاب يتضمن تاريخ التيارات السياسية في كيرالا. حيث أنه يناقش حالات ومآلات أقوى طائفة دينية في الولاية ويحمل في طياته جانبا من تاريخها الاجتماعي أيضا. الدقة والأمانة اللتان يتصف بهما الكتاب تجعلانه متميزا عن كثير من الكتب المتوفرة في لغة مالايالام التي تتناول تاريخ الرابطة بتلميع صورتها.

يرى الكاتب أن الرابطة، رغم نجاحها في حالات كثيرة في تطبيق سياساتها، حين تتخذ القرارات كانت عينها منصوبة فقط على قطاعات من أخبار تُرمى إليها من مراكز السلطات. أما مصالح جمهور المسلمين على النطاق الواسع فما كانت في مقدمة جدول اعتباراتها أبدا. متى ما انضمت إلى جبهة الحزب الماركسي أو انفصلت منها للدخول في تحالف مع جبهة حزب المؤتمر كان همها الأكبر البقاء في الحكم أياً كانت طريقته. ويشير المؤلف إلى موقف الرابطة حين أعلنت السيدة إنديرا غاندي حالة الطوائ عام ١٩٧٥ وحين جرت الانتخابات العامة في سنة ١٩٧٧ حيث أيدت حزبَ المؤتمر بقيادة إنديرا بينما جمهور المسلمين في جميع أنحاء الهند اتخذوا موقفا مخالفا لحزب المؤتمر . وفي تلك الانتخابات حين هزم المسلمون إيندرا وحزبها على المستوى الوطني كانت الرابطة ملتصقة مع جبهة حزب المؤتمر، حزب إينديرا في كيرالا. كان إعلان حالة الطوارئ بالنسبة للرابطة نعمة مستورة لأن الحزب كان قد انشق إلى فريقين في تلك الفترة بسبب الاختلاف حول الموقف الذي يجب أن يُتخذ من المشاركة في الحكم مع حزب المؤتمر. كان الوزير سي أتش محمد كويا، الشخصية الكارزمائية لدى صفوف الحزب ذرة في عيون القيادة التي تحكم قبضتها على الحزب أمثال مامو كيبي وعمر البافقيه وأم كيه الحاج. كانوا يتهمونه بأنه يُفضِّل مصالحه الخاصة على مصالح الحزب بميوله إلى حزب المؤتمر وخضوعه له. نجحوا في تنحيته من مناصب عليا بنفوذهم على رئيس الرابطة آنذك عبد الرحمن البافقيه الرجل المقبول لدى عامة المسلمين بسبب ارتباط نسبه بالنسب النبوي، وبعد وفاة البافقيه اختارت المجموعة التي تؤيد كويا سيد بوكويا من منطقة مالابورام رئيساً للحزب المحلي في ولاية كيرالا، وهو أيضاً كان مرتبطا بالنسب النبوي كما يعتقد عامة الناس. ولكن جناح الشباب للحزب وقفوا مع القيادة التي تخالف مجموعة كويا، فحمي وطيس المعركة بين الفريقين، وكانت جريدة «تشاندريكا» الناطقة بلسان الرابطة تحت قبضة الفريق المخالف لفريق كويا. وفي تاريخ ٢ أبريل عام ١٩٧٥ اجتمع المنشقون في منطقة تاليشيري حيث قاموا بتشكيل حزب جديد باسم -رابطة المسلمين لعموم الهند- اسم الحزب القديم زمنَ تقسيم الهند. وبينما اشتد العراك بين الفريقين أُعلنت حالة الطوارئ. فغدت فرصة

ذهبية للحزب الرسمي الشريك في الحكم مع حزب المؤتمر للزج بقيادة مخالفيهم في السجون مما ساعدهم على منع صفوف الحزب من الانضمام إلى الفريق المنشَق. وهذا الحزب الجديد انضم إلى جبهة المعارضة بقيادة الحزب الشيوعي الماركسي وشارك في تشكيل الحكومة عقب الانتخابات التي جرت عام ١٩٨٠ وأصبح بي أم أبوبكر أحد قياديهم عضوا في مجلس الوزراء. ولكن هذا التحالف لم يستمر كثيرًا. وفي عام ١٩٨٥ اضطر الحزب الجديد لمغادرة الجبهة الماركسية نتيجة للهجوم الشديد الذي قام به الحزب الماركسي على الشريعة الإسلامية. وهذه المستجدات قادت إلى المصالحة والاتحاد بين شقي الرابطة.

التحولات الكبرى التي طرأت فيما بعد على المستوى الوطني والدولي والتي حرّكت جمهور المسلمين في الهند لم تتأثر بها رابطة المسلمين في حينها. وفي عام ١٩٩٢ تعرض الحزب للانشقاق مرة أخرى على خلفية تدمير المسجد البابري. مثلما سكت عن أنواع القمع والاضطهادات التي تعرض لها المسلمون في شمال الهند تحت حالة الطوارئ لم يُقدِّر للرابطة حظُّ التماهي مع إحساسات جمهور المسلمين الهنود حين قام راجيف غاندي بفتح باب المسجد البابري للهندوس مما أدى إلى تدمير المسجد بعد ذلك عام ١٩٩٢ بل فضّلت بقاء مشاركتها في الحكم بقيادة حزب المؤتمر في كيرالا. وعندما دُمِّر المسجد البابري رأى رئيس الرابطة لعموم الهند إبراهيم سليمان سيت، النائب البارز البرلماني، مع بعض القياديين ومن يتبعهم من صفوف الحزب الانفصالَ عن التحالف الديموقراطي المتحد بقيادة حزب المؤتمر والاستعفاءَ من حكومة كيرالا، إلاّ أن القيادة في كيرالا التي استمتعت بحلاوة السلطة تآمروا على رئيسهم حتى نجحوا في إخراجه من رئاسة الحزب، فانشق هو ومن معه من الحزب وشكّلوا حزبا مستقلا باسم الرابطة الوطنية لعموم الهند بحذف لفظ المسلمين من اسم الحزب بناء على اقتراح الحزب الشيوعي الماركسي حيث اشترطه هذا الأخير لضمِّه إلى جبهته بما أنه يساعد في قبولية الحزب لدى الأوساط العلمانية في رأيه. ولكن التحالف اليساري بقيادة الحزب الماركسي لم يستعد لتخصيص أي مقعد للحزب الجديد في الانتخابات التي جرت بعد ذلك حتى اضمحلت قوته السياسية في كيرالا وخاصة بعد وفاة قياديه البارزين مثل مامو كيبي وبي أم أبوبكر وبو أيه بيران ورئيس الحزب ذاته.

وفي ضوء الحقائق المذكورة أعلاه يرى المؤلف أن أولويات الرابطة كانت دائما مرتكزة على مناصب في السلطة، ومادامت هذه الأولويات لم تتعين من جديد لا تستطيع الرابطة أن تقوم بأداء واجباتها كقوة بديلة تمثل الأقلية وخاصة المسلمين. وثمة في شمال الهند أمم منبوذة غير مسلمة تعاني نفس ما تعاني الأقلية المسلمة من التخلف في المناحي الاجتماعية والاقتصادية وكذلك من حرمان حقها في الوظائف الحكومية، لم تأخذ الرابطة بعين الاعتبار الاتحاد مع هذه الطبقات التابعة (Subalterns) بوضع برامج لتمكينها أو بالمشاركة معها في تحالف سياسي. وبالرغم من حدود الرابطة في ميدان العمل يرى المؤلف أنها قد بدأت تعيد نظرها في مواقفها على خلفية الأزمة التي دفع إليها تقدُّمُ السياسة الهندوسية سياسةَ أحزاب الأقليات. وعلى سبيل المثال الحزب الذي رفض موقف رئيسهم إبراهيم سليمان سيت من قضية المسجد البابري تقدم بطلب لاستئناف حكم المحكمة العُليا في تلك القضية، وكذلك كانت الرابطة في مقدمة المحتجين على مشروع تعديل قانون الجنسية داخل البرلمان وخارجه. ولكن يشك المؤلف في ثبات موقف الرابطة، لأن سمتها الأبرز في رأيه المصالحة مع الظروف أيا كانت القضية. وفضلا عن هذا فإن التحكم بالرابطة لا يزال يستمر في قبضة الطبقات العليا. وتعزز شكوكه نتائج الانتخابات التي جرت في كيرالا في ابريل الماضي حيث أظهرت هبوط حظ الرابطة في الأصوات التي حصلت عليها مما دفع جناحي الشباب والطلبة للرابطة لإعادة النظر في استراتيجيات الحزب.

عنوان الكتاب : رابطة المسلمين في تاريخ كيرالا

المؤلف: ان. بي. تشيكوتي، اللغة: مالايالام

عدد الصفحات:267 ، سنة النشر: 2020

الناشر: Institute of Objective Studies, New Delhi

*** مستعرب هندي**

الحاوي في تاريخ الأبجدية

عبدالرحمن السليمان *

هذا كتاب يسرد تاريخ نشوء أنظمة الكتابة بشكل عام وتاريخ تطوير الكتابات الأبجدية بشكل خاص. الكتاب موجه لجميع القراء على مُختلف مستوياتهم وأعمارهم وبلغة تخلو من التعقيد على الرغم من تقنية الحديث حول أنظمة الكتابة وتشعبه. فأنظمة الكتابة عمومًا والأبجديات خصوصًا تطورت عبر آلاف السنين، ورسمَ ظهورُ الكتابة في العراق القديم حوالي ٣٢٠٠ قبل الميلاد الحدَّ الفاصل بين العهد التاريخي للبشرية، وعهود ما قبل التاريخ. لذلك يُعتبر اختراع الكتابة أهمَّ اختراع في تاريخ البشرية على الإطلاق لأنه الاختراع الذي أخرجها من عصور ما قبل التاريخ ومكّنها من تدوين أفكارها وعلومها وآدابها وتجاربها الإنسانية بهدف حفظها للأجيال اللاحقة.

ينطلق الكاتب في مُقدمة الكتاب من قوله «إذا كان ثمَّة مكان في العالم كان ينبغي عليك أن تشد الرحال إليه قبل خمسة آلاف سنة من الآن، فإنَّه بلاد ما بين النهرين». ويضيف: «ففي العراق القديم اخترع الإنسان العجلة والمحراث، والقارب الشراعي والمعداد، وأهمَّ شيء في تاريخ البشرية: الكتابة». ويعرف الكاتبُ الكتابةَ هنا بأنَّها نظام مكون من صور ورموز لتسجيل اللغة المنطوقة. وتختلف أنظمة الكتابة، ومنها الكتابة الأبجدية، عن اللغة المنطوقة، «فأنظمة الكتابة - بعكس اللغة - أنظمة اخترعها الإنسان» وطوَّرها عبر الزمن ليسجل بها أصوات لغته. وبما أنَّ عنوان الكتاب يوحي بالتأريخ لنشأة الأبجدية، فإنه قدَّم لذلك بالتأريخ لنشأة أنظمة الكتابة الأولى التي مهَّدت لتطوير الكتابة الأبجدية، ذلك أن المتخصصين في تاريخ اللغات والكتابات القديمة - ومنهم كاتب هذه المراجعة - يدركون أنَّ الكتابة الأبجدية هي المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ أنظمة الكتابة في العالم، وأن التأريخ لها بدون التأريخ للمرحلتين السابقتين غير ممكن. فلقد مرت الكتابة عبر تاريخها الطويل بثلاث مراحل هي (١) المرحلة الصُّوَرِيَّة و(٢) المرحلة المقطعية و(٣) المرحلة الأبجدية، وقد توقف الكاتب عند كل مرحلة من هذه المراحل بالتفصيل.

عالج الكاتبُ في الفصل الأول من الكتاب مرحلة الكتابة الصورية، واستهل مُعالجته بالتنصيص على «أن أول كتابة ظهرت في التاريخ هي الكتابة المسمارية التي اخترعها السومريون» في بلاد الرافدين، وهم شعب مجهول الأصل. وكانت الكتابة المسمارية في الأصل كتابة صُوَرِيَّة بمعنى أنه إذا أراد الكاتب أن يكتب الكلمة الدالة على الرجل في لغة القوم فإنَّه يصوّر هيئة الرجل، تمامًا مثلما نرى في الكتابة الهيروغليفية التي هي أيضًا كتابة صورية. والفرق بين الكتابتين الصوريتين المسمارية والهيروغليفية يكمن في أن أشكال الكتابة المسمارية تطورت بسرعة لتتخذ أشكالاً مجردة تشبه أشكال المسامير، بينما حافظت الكتابة الهيروغليفية على أشكالها الصورية البدائية والحسية. وهذا الفرق عائد إلى طبيعة المادة المستخدمة في الكتابة، فلقد استعمل الرافدينيون الطين والماء والقصب في الكتابة، فصنعوا ألواحًا من الطين مربعة أو مستطيلة، واستعملوا في الكتابة أقلامًا من القصب كانوا يغرزونها في الطين وهو رطب ويخطون بها ما كانوا يريدون تدوينه من النصوص. ويضيف الكاتب: «ومن الجدير بالذكر أن غرزة القلم في الطين كانت تكوّن مثلثًا في اللوح أشبه ما يكون برأس المسمار، تتبعه خطوط مستقيمة نحو الأسفل أو اليسار، مما أدى إلى نشوء أشكال تشبه المسامير التقليدية، وهو ما أوحى بتسمية الكتابة الرافدينية بالكتابة المسمارية». ثم كانوا يطبخون الألواح الطينية بعد الكتابة عليها في التنور حتى تشتد وتصلب، مما مكنَّها من مقاومة صروف الدهر والبقاء حتى اليوم. ثم يقارن الكاتب ذلك مع المواد المستعملة في الكتابة اليوم ويتساءل بمكر: «تُرى هل تستطيع مفكرة الواحد منَّا أن تبقى خمسة آلاف سنة بدون تلف» كما بقيت الألواح المسمارية؟! «أما قدامى المصريين فقد استخدموا بدورهم ورق البردي والمداد في كتابتهم». ولا يفرض استعمال ورق البردي على الكاتب مناورات معينة ولا يؤثر على طبيعة الكتابة، من ثمة عدم تطور أشكالها ومحافظتها على شكلها الصوري البدائي، بعكس الكتابة المسمارية التي أصبحت تختلف كثيرًا عن هيئة مسمياتها التي كانت في البداية صورية بدائية أيضًا. ثم ناقش الكاتب صعوبة كتابة المفاهيم الذهنية كالحب والحزن والسيادة التي عبَّر قدامى المصريين عنها بتصوير الأسد وهو رافعٌ رأسه بشموخ وعز. وهذا يعني أيضًا أن صورة الأسد في الكتابة الهيروغليفية قد أصبحت من المشترك اللغوي لأنها أصبحت تدل على معنى حسي هو «الأسد» ومعنى مجازي هو «السيادة». «لقد أدت كثرة الاشتراك في الصور والرموز وكذلك صعوبة الدلالة على المفاهيم الفكرية والمجاز إلى اختراع طائفة من الرموز في الكتابة المسمارية والكتابة الهيروغليفية بهدف تحديد المعاني وضبطها حتى يتمكن القارئ من فهم السياق من أول وهلة، وهي الرموز المُسماة بـ «مُحدِّدات المعاني». مثلاً: استعملَ الرافدينيون النجمة للدلالة على الإله أولاً ثم على كل ما له علاقة بالدين والعبادة ثانيًا. فبمجرد رؤية نجمة في جملة يفهم القارئ منها أن الجملة تفيد معنى دينيًا. «الأمر ذاته ينطبق على الهيروغليفية التي تثبت صورة الرجل للدلالة على أي شيء يشير إلى الإنسان»، أو صورة الخشب للدلالة على أي شيء يصنع من الخشب، بما في ذلك القوارب والسفن، مما يؤدي إلى نشوء نظام اصطلاحي يسهل على الكاتب والقارئ أمر الكتابة والقراءة، ويعقدّه في الوقت نفسه. وهذا ما جعل الرافدينيين والمصريين يبحثون عن حلول لمشكلة الكتابة الصورية والرمزية التي باتت غير قادرة عن التعبير بوضوح عما يريدون تدوينه مع التقدم الفكري والعلمي للحضارتين الرافدينية والمصرية.

ثم انطلق الكاتب في فصل آخر إلى توصيف نظام الكتابة المقطعية ويذكر أن الكتابة المقطعية تتكون من مقاطع صوتية بحرف صامت يتبعه حرف صائت قصير مثل /بَ/، /بُ/، /بِ/، أو يتبعه حرف صائت ممدود مثل /با/، /بُو/، /بِي/. وأول مَن استعمل الكتابة المقطعية أواخرُ السومريين وأوائلُ الأكاديين أو البابليين على خلاف في ذلك. وعليه فإنَّ الكتابة المسمارية المقطعية كانت أول كتابة مقطعية في التاريخ تطورت من خلال بحث الرافدينيين عن حل لمشاكل الكتابة الصورية، فأتت «المساميرُ» المفردة والمركبة فيها ليس للدلالة على صور لأشياء أو رموز لمفاهيم معينة بل على مقاطع صوتية بعينها مكونة من حروف ساكنة وأصوات. ومن الجدير بالذكر أن الهيروغليفية طورت، في مرحلة لاحقة، كتابة مقطعية أيضًا، إلا أن الفرق بين الرافدينيين وقدامى المصريين هو أن الأوائل تخلوا نهائيًا عن الكتابة الصورية والرمزية بعدما طوروا الكتابة المقطعية، بينما لم يتخل قدامى المصريين عن الكتابة الصورية، وهو ما جعل من الكتابة الهيروغليفية كتابة معقدة جدًا تتكون من صور ورموز ومقاطع صوتية ثنائية الأصوات وثلاثية الأصوات وحروف أبجدية. وهذا عائد إلى المكانة الرفيعة التي كان يتمتع بها الكتاب في المجتمع المصري القديم، وهي المكانة التي جعلتهم يحولون دون تبسيطها وبالتالي انتشارها حفاظًا منهم على مكانتهم العالية والامتيازات التي كانت ترتبط بتلك المكانة العالية.

ثم توقف الكاتب عند المرحلة الثالثة والأخيرة من تاريخ الكتابة وهي المرحلة الأبجدية التي سميت هكذا نسبة إلى ترتيب الحروف في الأبجدية السامية الأولى: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت (وهو الترتيب الذي تغيَّر في العربية إلى الترتيب الحالي ألف باء تاء ثاء .. بعد تنقيط الحروف في القرن الأول للهجرة). وينسب الكاتب تطوير الأبجدية إلى الفينيقيين «الذين كانوا يسكنون فيما يعرف اليوم بسوريا ولبنان»، فقاموا بتبسيط الصور وتوظيفها للدلالة على الأصوات الأولى من الكلمات التي تؤديها تلك الصور والرموز.

وبذلك يتبنى الكاتب في كتابه النظرية السائدة التي تذهب إلى أن الأبجدية الفينيقية اشتقت من صور الكتابة الهيروغليفية في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، إلا أن اكتشاف أبجدية أقدم منها بخمسة قرون، وهي الأبجدية الأوغاريتية، التي تستعمل أشكالاً مسمارية لا علاقة لها بصور الكتابة الهيروغليفية، ألغى هذا الرأي تمامًا. كما أن الاكتشافات الأثرية الأخيرة في جزيرة العرب تؤكد على أن تاريخ خط المسند يعود إلى حوالي ١٤٠٠ قبل الميلاد أي أن خط المسند أقدم من الأبجدية الفينيقية بثلاثة قرون على الأقل. فالأوغاريتيون استوحوا أشكال أبجديتهم من الكتابة المسمارية، والفينيقيون استوحوا أشكال أبجديتهم من الكتابة الهيروغليفية، بينما لا تشبه أشكال خط المسند أيًا من أشكال الأبجدية الأوغاريتية والأبجدية الفينيقية. ولا نعرف على وجه التحديد كيف نشأت الأبجدية الأوغاريتية وكيف تطوّر خط المسند، ولكننا نعرف بالضبط كيف اختزل الفينيقيون الصور والرموز إلى الكتابة الأبجدية، «حيث بدأ الفينيقيون باستعمال الصور الدالة على مُسميات بعينها، مثلاً: صورة الثور للدلالة على الثور؛ صورة المربع للدلالة على البيت؛ صورة العين للدلالة على العين؛ صورة الموج للدلالة على الماء إلخ ليس للدلالة على تلك المسميات، بل للدلالة على الأصوات الأولى لتلك المسميات».

ثم يشرح الكاتب كيف اختزل الفينيقيون الرموز الدالة على أشياء بعينها في أصواتها الأولى كما يلي: يُسمّى «الثور» في اللغة الفينيقية: ألف، و«البيت»: بَيْت، و«العين»: عَيْن، و«الماء» ميم، وهلم جرًا. «بدأ الفينيقيون يستعملون الصورة الدالة على «الثور»، وهي صورة رأس ثور مثلث الشكل بقَرنَيْن وعينَيْن، ليس للدلالة على كلمة (أَلف)، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة (ألف) فقط، وهو حرف الألف. ثم استعملوا الصورة الدالة على «البيت»، وهي صورة مربع، ليس للدلالة على كلمة (بيت)، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة (بيت) فقط، وهو حرف الباء. ثم استعملوا الصورة الدالة على «العين». وهي صورة العين. ليس للدلالة على كلمة (عَين)، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة (عَين) فقط، وهو حرف العين. ثم استعملوا الصورة الدالة على «الماء»، وهي موجة الماء، ليس للدلالة على كلمة (الماء)، بل للدلالة على الصوت الأول من كلمة (الماء) فقط، وهو حرف الميم، وهكذا دواليك حتى أتوا على أصوات لغتهم، وهي اثنان وعشرون صوتًا فقط، فجعلوا لكل صوت فيها حرفًا مستقلاً. «ثم رتب الفينيقيون الأبجدية مبتدئين بحرف الألف ثم الباء ثم الجيم ثم الدال إلى آخر ترتيب أبجد هوز». ولا يقدم الكاتبُ تفسيرًا لهذا الترتيب الذي يبدو - في غياب أي تفسير مقنع له - ترتيبًا اعتباطيًا.

ويضيف: «ثم أخذ الإغريق في أوائل الألف الأول قبل الميلاد الكتابة الأبجدية عن الفينيقيين وحاولوا كتابة لغتهم فيها إلا أنهم اكتشفوا أن الأبجدية الفينيقية لا تحتوي على كل الأصوات اليونانية من جهة، وأنها تحتوي على أحرف غير موجودة في اللغة اليونانية مثل حروف الحلق من جهة أخرى». وقد شكل خلو الأبجدية الفينيقية من الأحرف الصائتة مشكلة لليونانيين تغلبوا عليها بتوظيف حروف

الحلق الفينيقية كالحاء والعين وغيرهما أحرفًا صائتة، فاستعملوا حرف العين الفينيقي للدلالة على الـ O، وحرف الحاء للدلالة على حرف الإيتا (وهيئته في اليونانية:) وهو مثل حرف الـ أ ولكنه أكثر مدًا منه) وهلم جرا. ثم سمى اليونانيون نظام الكتابة التي أخذوها عن الفينيقيين بـ ἀλφάβητος أو alfabetos أي «الألفباء». وعن الإغريق أخذ الرومان الأبجدية وعدّلوها لتتناسب مع أصوات لغتهم وسموها في لغتهم اللاتينية: Abecedarium. وهذه الأخيرة ترجمة حرفية لـ «أبجدية». «وهكذا اكتملت الأبجدية باستعمال اليونانيين حروف الحلق الفينيقية أحرفًا صائتة». والسبب في خلو الأبجدية الفينيقية - وسائر الأبجديات السامية التي اشتقت منها كالأبجدية العربية والأبجدية الآرامية والأبجدية السريانية والأبجدية العبرية من الأحرف الصائتة يعود إلى القاعدة العامة التي تحول دون ابتداء كلمة سامية بحرف صائت. وبما أن الأبجدية الفينيقية اشتقت من الأصوات الأولى لكلمات فينيقية بعينها كما سبق أعلاه، وبما أن الكلمات الفينيقية لا تبدأ بحرف صائت، فإن هذا يفسّر لنا لمَ لَم تحتوِ الأبجدية الفينيقية وما اشتُقَّ منها من أبجديات سامية على أحرف مستقلة تدل على الأحرف الصائتة فيها لأن الأحرف الصائتة لا تكون في أوائل الكلمات السامية - ومنها الفينيقية والعربية - قط. ثم يختم الكاتب حديثه عن الأبجدية بالحديث عن اتجاه الكتابة ويقول «لم يكن اتجاه الكتابة ثابتًا عند القدماء»، فكانوا يكتبون سطرًا من اليمين إلى اليسار ثم سطرًا من اليسار إلى اليمين ثم سطرًا من اليمين إلى اليسار ثم سطرًا من اليسار إلى اليمين وهكذا دواليك. لذلك سُميَّت هذه الطريقة غير الثابتة في الكتابة «كفلاحة الثور» (Boustrophedon، من اليونانية βουστροφηδόν). إن معظم النقوش اليمنية المدونة بخط المسند وغيرها من النقوش التي عثر عليها في الجزيرة العربية مكتوبة هكذا «كفلاحة الثور».

ثم يستعرض الكاتب كل الأبجديات التي اشتقت من الأبجدية الفينيقية سواء الأبجديات السامية كالأبجدية الآرامية والأبجدية العربية والأبجدية السريانية والأبجدية العبرية، أو الأبجديات الهندية الأوربية التي اشتقت كلها من الفينيقية عبر الأبجديتين اليونانية واللاتينية. يقول: «وتعتبر الأبجدية اللاتينية الأكثر انتشارًا في العالم، تليها الأبجدية العربية». ويضيف: «لقد طوّرت كل أبجدية طائفة كبيرة من الخطوط المختلفة بعضها ذات طابع فني جمالي خالص». ويتوقف الكاتب عند جمالية الخط العربي كما وظفه الخطاطون ويقول: «صنع العرب من الحروف أعمالاً فنية رائعة» على شكل لوحات أو لتزيين الأبنية والقصور والمساجد. ثم يمثّل على فن التخطيط بأمثلة من الأبجدية العربية والأبجدية اللاتينية. وأشهر خطوط هذه الأخيرة وأجملها هو «الخط القوطي» الذي استعمل في كتابة الكتب في الغرب منذ القرن الثالث عشر. ويختم الكاتب كتابه القيم في تاريخ الأبجدية بالحديث عن الأبجديات السرية التي كانت تستعمل في الماضي في المراسلة بين الملوك والأمراء وأصحاب القرار، ثم تُوُسِّع في استعمالها اليوم «لتشمل المجالات الأمنية والتجسس والمخابرات» وعمل العصابات المنظمة. ولا يقتصر استعمال الأبجديات السرية على الحروف المعروفة والأعداد والرموز فحسب، بل يشمل أيضًا تطوير أبجديات خاصة لذلك «أشهرها أبجدية بابينجتون التي طورها في القرن السادس عشر أنطوني بابينجتون الذي خطط لاغتيال الملكة إليزابيث الأولى». لقد كان أنطوني بابينجتون (Anthony Babington) يتواصل مع ملكة أسكوتلندا ماريا ستوارت بواسطة هذه الأبجدية السرية وذلك بهدف تنفيذ مؤامرة ضد الملكة إليزابيث الأولى تنتهي باغتيالها، لكن المؤامرة انتهت بإعدامه هو (سنة ١٥٨٦) وإعدام الملكة ماريا ستوارت (سنة ١٥٨٧) ومجموعة من المتورطين في المؤامرة معه.

- الكتاب مرجع علمي تثقيفي يُقارب تاريخ الكتابة الأبجدية بلغة سهلة وأسلوب بسيط ولا أعرف له شبيهًا في المكتبة العربية.
- العنوان: «الحاوي في تاريخ الأبجدية».
- الكاتب: فرانك لاندسبرغن (Frank Landsbergen)
- الناشر: دار لانو، بلجيكا
- اللغة: الهولندية
- عدد الصفحات: 259 صفحة
- سنة النشر: 2021

* أستاذ الترجمة في جامعة لوفان في بلجيكا

الأصـــول العمليـــة للأفكـــار
ماثيو كيلوز

علي الرواحي *

لماذا نفكر كما نتصرف؟ يبدأ ماثيو كيلوزMATTHIEU QUELOZ الباحث في الفلسفة في جامعة أكسفورد عمله الأول بهذا السؤال الذي يتخذ خارطة طريق متشعبة على مدى عشرة فصول متوزعة بين أسئلة مُختلفة، مستخدماً في ذلك منهجية جينالوجيا الهندسة العكسية المفاهيمية Genealogy as Conceptual Reverse-Engineering، والتي تهتم بتتبع أصول مبدأ معين، آلة، أو تقنية ما عن طريق تحليل بنيتها، ووظيفتها، وطريقة عملها، من خلال تحليل كل جزء منها بشكل عكسي؛ فالأفكار التي نعيش بها لم ننتجها، أو نخترعها، بل ورثنا معظمها، إن لم يكن كُلها، كما أنها تنمو وتزدهر بشكلٍ لا شعوري لأنماط فكرية كثيرة، ومختلفة. غير أنَّ الكثير من هذه الأفكار كفكرة الماء « كما يذهب المؤلف » مفيدة لنا بشكلٍ حتمي، في حين أنَّ الكثير من الأفكار المُجردة الأخرى مثل الحقيقة، والمعرفة وغيرها، تبدو عكس ذلك، لكنها بالرغم من ذلك لها أهمية كبيرة في حياتنا، فهي تُعتبر كما يقول نيتشه «خيوط الدخان المتُبخرة الأخيرة التي تربطنا بالواقع». والسؤال هنا: ما الهدف من التفكير في هذه الأفكار التجريدية الكُبرى؟ وماذا سنخسر إذا افتقرنا إليها؟

يختلف نمط التفكير هنا، أو طريقة المعالجة عن المنهج السقراطي، الذي يُعتبر تقليديًا الآن، من حيث أن سقراط يهدف إلى الوصول مباشرة لجوهر، أو ماهية المفهوم، وذلك لفهم سبب اهتمامنا به، الأمر الذي جعل هذه الأفكار تسبح في سماء التجريد، منفصلة عن الواقع، ولا علاقة لنا بها. في حين أن فلاسفة آخرين مثل الأمريكي شارلز ساندرس بيرس C. S. Peirce ينحون منحى آخر، مختلفا عن ذلك، يتمثل في التفكير في هذه الأفكار أو تلك، بناء على السياق الذي نشأت فيه، وليس كحال السمكة عندما يتم دراستها في مياهٍ ضحلة وكأنها على الشاطئ.

في مقابل ذلك، من الممكن تغيير هذا النمط من التفسير والتساؤل عن الأسباب التي تجعلنا نُفكر في هذه المصطلحات، غير أن هذا التساؤل أيضاً من الممكن أن يأخذ مناهج شتى، كما هو الحال لدى أفلاطون الذي أعادها إلى المُثل، أو عوالم مجردة من الأشكال. في حين أن المؤرخين المهتمين بالمفاهيم سعوا لتتبع معاني هذه المفاهيم من خلال السياقات الاجتماعية والتاريخية المختلفة، غير أن المنهجية هنا تختلف بشكلٍ نهائي عن هذين المسارين، فهي تسعى لتوضيح تجذر هذه الأفكار في الاحتياجات العملية، والاهتمامات التي تولدها وقائع مُختلفة عن الوضع البشري.

هذا العمل يذهب في اتجاه آخر، وذلك عن طريق النظر فيما تفعله الأفكار بدلاً من معرفة هل هذه الأحكام المرتبطة بالأفكار صحيحة أم لا، بهدف معرفة صحتها وارتباطها الوثيق باحتياجاتنا واهتماماتنا الحياتية المختلفة. فكل مفهوم من المفاهيم البشرية تقريباً مرتبط بمجموعة من الممارسات المختلفة، وهو الذي يجعلنا نتساءل عن الأسباب التي جعلت الأفراد يطبقون فكرة معينة، دون العيش فيها أو اعتناقها بالضرورة، كما هو الحال في الاحتفالات الدينية التي يفهمها الأفراد دونما الحاجة للقيام بها. فمصطلح «الممارسة المفاهيمية» conceptual practice" يمثل ممارسة المجتمع لترك أفكاره ومواقفه وأفعاله تتشكل وتسترشد بفكرة معينة. على عكس الممارسات المجردة، مثل مشي المرء على قدميه بدلاً من يديه، فإن الممارسات المفاهيمية تتشكل أساساً من خلال الحساسية للمعايير أو الأسباب المفاهيمية، التي تُهذب الفكرة عن طريق توضيح تلك المعايير والأسباب، أو تجعل هذه الممارسة أو تلك تتوقف. كما أن هذا المصطلح يهيئ لنا المناخ بشكل مُناسب لطرح تساؤل حول أي ممارسة لماذا نشأت وما هي النتائج التي تلحق بممارسيها؟ وهي الروح « كما يقول المؤلف » التي قادت فولتير للوصول لاستنتاج مفاده أنه إذا لم يكن الله موجوداً لاخترعناه، وهي إشارة للروح العملية للفكرة، لأنها تركز بشكل أساسي على الممارسات البشرية للعيش بأفكار معينة بدلاً من التركيز على ما تشير إليه هذه الأفكار، ولأنها تسعى إلى فهم تلك الممارسات من وجهة النظر العملية.

بالإضافة إلى ذلك، يسعى هذا العمل لهدف فلسفي رئيسي يقع في عمق هذا التاريخ، وذلك من خلال السرد المنهجي لجينالوجيا الممارسات المفاهيمية، الذي يتجاوز التقسيمين الفلسفيين: التحليلي - والقاري analytic–continental الذي فُهم لفترة طويلة بأن هناك فرقاً حاسماً وجوهرياً بينهما، يتمثل بين «أولئك الذين يعتقدون أن كل شيء يجب أن يمر عن طريق علم الجينالوجيا» و «أولئك الذين يعتقدون أنه لا يوجد شيء يمكن تعلمه من علم الجينالوجيا أو علم الأنساب المفاهيمية»، مما يعني أن هذا العلم قاري بامتياز، وأن الفلسفة الأنجلوفونية - وبالتأكيد التقليد التحليلي - تُعرف نفسها من خلال معارضتها لهذا العلم. كما يسعى هذا العمل لتقويض هذا الانقسام من خلال الرجوع لعلم جينالوجي للفلسفة الأنجلوفونية Anglophone philosophy، مختلف عن جينالوجيا فوكو أو نيتشه قبل ذلك، ذلك أنه وبحسب تعريف قاموس أكسفورد للفلسفة يعتبر هذا العلم جزءا من إعادة البناء التاريخي للطريقة التي أصبحت بها مفاهيم معينة بالشكل الذي تقوم به، وجزءاً من «إعادة البناء العقلاني» أو قصة حول الوظيفة التي يقوم بها البعض، والتي قد تتوافق أو لا تتوافق مع التطور التاريخي.

في الفصل الثاني من هذا العمل، وبعد شرح تفصيلي عميق، وهام، لتفاصيل علم الجينالوجيا المفاهيمي، يعود بنا المؤلف إلى بسط الفوائد المختلفة لمنهج الهندسة العكسية المفاهيمية، والمغاير لمنهج علم الجينالوجيا المفاهيمية أو علم الأنساب Genealogy، أو الفوائد المشتركة من دمج هذين المنهجين مع بعضهما البعض، دون إقصاء منهج للآخر. حيث يمكن أن يؤدي النظر إلى الأفكار من وجهة نظر عملية إلى إحداث تحول لافت للنظر في الطريقة التي ننظر بها، لأننا غالباً لا نفكر فيها من وجهة نظرها. فكجزء من السبب هو أن هذه الظاهرة المألوفة للمصممين والمهندسين المعماريين أن التصميم السيئ لديه وسيلة لجذب الانتباه لنفسه، فإن علامة التصميم الجيد غالبًا ما تكون غير مرئية، مما يجعله عرضة لخطر عدم التقدير. غير أنه ولفترة طويلة كان هناك ميل لاعتبار أن الأفكار لا شيء سوى أفكار: كائنات أثيرية، خاملة، وليس لها تأثيرات عملية، ناهيك عن كونها حداً فاصلاً أو مؤشراً له ما بعده. ومن ثم، فإن أولئك الذين يثقون في قوة الأفكار، كثيراً ما يواجهون الشك في أن الأفكار المجردة ليس لها تأثيرات حقيقية على العالم. وهذا تجسد « بحسب المؤلف » على سبيل المثال، في لقاء عام ١٩٣٢ بين الشاب أشعيا برلين، الفيلسوف ومؤرخ الأفكار الذي آمن بقوة بقدرتها على إحداث فرق، والمؤرخ لويس ناميير Lewis Namier، والذي أصبح اسمه كمثال للتشكيك في أهمية الأفكار، حيث أخبر برلين أن مؤرخي الأفكار هم «أقل أنواع المؤرخين فائدة، لأن الأفكار كانت «مجرد تفسيرات من قبل العقل للدوافع والدوافع العميقة الجذور» (برلين ٢٠١٤، مفهومين للحرية، ١٢٧). وهذا يستدعي للذاكرة أيضاً حواراً مع مؤرخ الثورة الفرنسية توماس كارليل Carlyle جرى مع رجل أعمال فرنسي إبان هذه الثورة هازئاً منه، عندما قال: إنها مجرد أفكار، لا أكثر. وهو ما نراه متجسداً في الوقت الحاضر في الكثير من المفاهيم العملية حول الإنسان وحقوقه، التي لا يمكن

التغاضي عنها بفعل تلك الثورة.وكما يُذكرنا كارليل، فإن للأفكار تأثيرات حقيقية للغاية في الواقع، كثيراً ما لا يمكن إثباتها، وهذا هو السبب في أن الحديث عن وجود نقطة فاصلة، أو «وظيفة» لهذه الفكرة غالباً ما يمكن أن يكون مفيداً كطريقة لإبراز آثارها التي نهتم بها هنا لأغراض معينة، مثل «تلبية الحاجة» أو التي تؤدي لإشباع احتياجات الإنسان. حيث تأتي هذه المنهجية لتساعدنا على معرفة أهمية بعض الأفكار السامية، كالحرية، والمعرفة، وغيرها، بعيدة عن احتياجات الإنسان اليومية والمباشرة، حيث توفر منظوراً جديداً لها وتضع المرء في وضع يسمح له بطرح المزيد من الأسئلة، مثل: هل نحتاج لمشاركة مثل هذه الأفكار الآن؟ ومن يحتاج هذه الأفكار بشكل محدد؟ وهل من الضروري تأكيدها والمصادقة عليها؟

يجمع علم الأنساب البراغماتي بين ثلاثة مناهج: الجينالوجيا، الطبيعية، والبراغماتية، التي تشترك، بشكل دقيق بدرجة كبيرة، بكونها تختزل المواضيع التي تفسرها لحد كبير، كما أنها تكشف أقعنة هذه الأفكار وصولاً للمستوى الأساسي: فالأنانية التي تتنكر في صورة نكران الذات، تستخدم القيمة وذاتية تتنكر القيمة كعامل جوهري وضروري. ففي الجانب الطبيعي يذهب الكثير من المفكرين المذكورين في هذا العمل، ومن ضمنهم هيوم ونيتشه وغيرهم، لشرح السلوك البشري حيثما كان ذلك ممكنا عن طريق الآليات التي تنطبق على بقية المملكة الحيوانية أيضا؛ حيث أن ترجمة الفعل البشري من الطبيعة أو العكس، بقصد تأويله، وفهمه، يعني أن البشر يقفون أمام الطبيعة بقية اليوم، مشددين على الانضباط العلمي، بعيون أوديب الثابتة، وآذان اوديسيوس المغلقة، أمام الإغراءات الميتافيزيقية القديمة.كما يشير بعض المفكرين، في هذا السياق، أمثال كريغ Craig، إلى أن مشروعه «ينتمي لتقاليد المنهج الطبيعي» حيث يرى، كما الكثيرين غيره، بأن الإنسان وسلوكه، ومؤسساته، يجب النظر إليها على أنها نتيجة للآخرين والتعامل معهم بشكل عام بطريقة أقرب للسببية.

في حين أن الجانب البراغماتي يبدأ كما تُشير لذلك الكثير من المراجع والمؤلفات والتيارات المختلفة، بضرورة استخدام مصطلحات ومفاهيم معينة حيث يهدف علماء الأنساب البراغماتيون إلى تحديد المشهد الذي نمت فيه بعض المفاهيم بدافع الضرورة، عن طريق تتبع ما يبدو أنه متعال عن جذور الاحتياجات البشرية، كما أن الأنساب البراغماتية تستبدل الأنثروبولوجيا الفلسفية بالميتافيزيقا بطريقة مميزة للبراغماتية، فهي تكشف كيف، كما قال ويليام جيمس، أن أثر الثعبان البشري يكمن في كل شيء.وبطريقة أخرى، تبدأ البراغماتية تساؤلاتها أو المنهج البراغماتي كما تقول شيريل ميساك Cheryl Misak، في معجم كامبريدج للبراغماتية من بيرس وجيمس إلى رامسي وفتنغشتاين عام ٢٠١٦م، حيث تقول: «تبدأ البراغماتية بظواهر تتعلق باستخدام مصطلحات ومفاهيم معينة، بدلاً من استخدام أشياء أو خصائص ذات طبيعة غير لغوية. حيث يبدأ بالسلوك اللغوي، ويطرح أسئلة أنثروبولوجية على نطاق واسع: كيف لنا أن نفهم أدوار ووظائف السلوك المعني في حياة المخلوقات المعنية؟ ما هي أهميتها العملية؟.

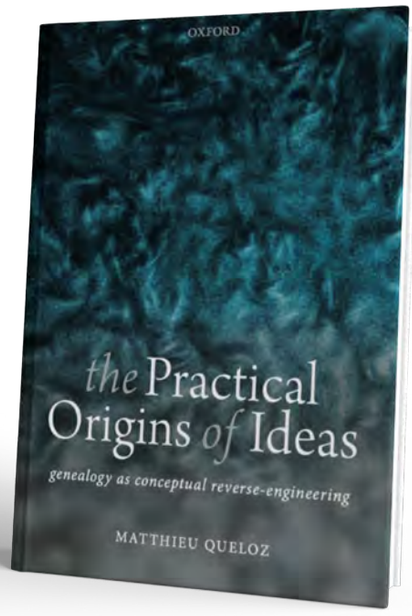

كما يمكن استخلاص ثلاثة أشكال مميزة لبراغماتية كامبريدج. الأول هو التمركز حول الفرد في براغماتية كامبريدج: في معالجة الموضوعات المحيرة فلسفياً، لا يبدأ بالسؤال عن الكائن «، بل يركز بدلاً من ذلك على الأفراد وتصرفاتهم، ومواقفهم، ومفاهيمهم، وكلماتهم التي تدور حول » . كما يتعلق الحافز الثاني بـ نوع التفسير المطلوب بعد ذلك: تعتمد براغماتية كامبريدج النهج الوظيفي أولاً لشرح المفاهيم أو المصطلحات، مما يؤدي إلى إبعاد الاستفسارات والتأويلات التي تنظر في المقام الأول إلى محتواها أو معناها لصالح التأويلات التي تنظر في المقام الأول إلى النقطة أو الوظيفة في الممارسة. في حين أن الحافز الثالث هو أن البراغماتية قد تُعطى صبغة جينالوجية.

في هذا السياق، يتطرق المؤلف في الفصل الرابع والفصول اللاحقة، لتطبيقات مختلفة على فلاسفة ومفكرين مختلفين، حول النهج الجينالوجي والبراغماتي للأفكار، من ضمنهم هيوم Hume، نيتشه، وغيرهم الكثير، حيث يتناول كتاب «رسالة في الطبيعة البشرية» الصادر عام ١٧٤٠م لديفيد هيوم، الذي يسعى من خلاله لقراءة هيوم كعالم أنساب براغماتي يُلقي ضوءاً جديدا على وصفه للعدالة، الأمر الذي يميزها عن التخمين حول الماضي البعيد الذي كتبه دوجالد ستيوارت Dugald Stewart في أفول عصر التنوير الأسكتلندي، عن طريق استخدام «التاريخ التخميني» وليس العملي. كما يُسلط هذا الفصل الضوء من خلال العدسة المنهجية لعلم الأنساب البراغماتي على ثلاثة جوانب لا تحظى بالتقدير الكافي. أولاً، يُظهر أن براعة نهج هيوم في «أصل العدالة والملكية » هو أنه يسعى إلى فهم ماهية الملكية ليس من خلال البحث عن العلاقات الطبيعية التي تجعلها ملكية، كما فعل لوك، بل عن طريق الفهم. من حيث الأصول العملية لبعض المواقف البشرية، أي تلك المُسماة بفضيلة «العدالة». هذا يصحح الانطباع بأن هيوم مُتحير في المقام الأول من كيفية نشوء فضيلة العدالة، لكن مفهومه الضيق للعدالة كاحترام للملكية يدفعه إلى ملاحظة أن فكرة الملكية من شأنها أن تنشأ في أعقاب فضيلة العدل؛ حيث يقترح على العكس من ذلك أن علم أنساب العدالة عند هيوم ليس مجرد توضيح عرضي، ولكنه في المقام الأول وبشكل أساسي محاولة لفهم ظاهرة الملكية المحيرة من الناحية الطبيعية. كما يقترح فهم طبيعة الملكية عن طريق المواقف البشرية تجاهها، وخاصة عن طريق فضيلة احترام مُمتلكات الآخرين، وهو ما يعنيه هيوم «بالعدالة»:

«إن ممتلكاتنا ليست سوى تلك السلع، التي تثبت ملكيتها المستمرة بموجب قوانين المجتمع؛ وهذه هي، من خلال قوانين العدل ممتلكات الشخص التي هي بعض الأشياء المتعلقة به. هذه العلاقة ليست طبيعية، بل أخلاقية، وقائمة على العدل. لذلك، من المنافي للعقل أن نتخيل أنه يمكننا الحصول على أي فكرة عن الملكية، دون فهم كامل لطبيعة العدالة، وإظهار مصدرها في حيل الأشخاص وطرقهم المختلفة. ذلك أن أصل العدالة يفسر الملكية».

يجسد هيوم هنا في هذه الفقرة الإستراتيجية العامة لعلم الأنساب البراغماتي: بدلاً من اتباع نهج يركز على الكائن ومحاولة تحديد الطبيعة الموضوعية للملكية (كما فعل لوك عندما وصف كيف تحدد قوانين الطبيعة حقوق الملكية الطبيعية)، يبحث هيوم وبشكل مركزي في المواقف البشرية والميول التي تعبر عن الاهتمام بالممتلكات. ثم يحاول بعد ذلك فهم سبب ظهور هذه المواقف والتصرفات من خلال إظهار أنها تخدم وظيفة معينة في ضوء احتياجات بشرية محددة، وبالتالي اتباع نهج الوظيفة أولاً مع البُعد الجينالوجي. كما يوضح أن «قواعد العدالة صناعة بشرية وليست اعتباطية» وهذا يعني أنها تستند إلى أسباب منها: هناك مقتضيات عملية تجعل «اختراع» القواعد التي تنظم التعامل مع الممتلكات الخارجية ليس فقط «واضح لكن» ضروري للغاية . يطرح هذا الفصل أسئلة مهمة في هذا السياق، مثل: لماذا يجب أن يكون هذا مُلكا لشخص دون الآخر؟ حيث يقدم في الفصل اللاحق وبشكل مستفز الإجابة التالية: «بما أن الطبيعة المنعدمة الهدف، بالتأكيد، لم تقدم مثل هذه الإجابة، مثل الفضائل المصطنعة الأخرى، تم الكشف عن فضيلة العدالة على اعتبار أنها سمة شخصية اصطناعية، تم تطويرها «لمعالجة إعاقاتنا الطبيعية».

في الختام، تُظهر قراءة هيوم بهذه الطريقة وغيره الكثير من الفلاسفة والمفكرين أن أصل الأفكار يأتي من الحاجة البشرية، والدوافع العملية للوصول لنتائج، من الممكن لمسها، وقياسها، والتعامل معها بشكل عملي أكثر من أي وقت مضى، مهما بلغ التشديد على الجانب النظري، المُنعزل عن الواقع.

- الكتاب : الأصول العملية للأفكار
- المؤلف : ماثيو كيلوز
- الناشر: Oxford University Press, 2021
- عدد الصفحات: 296
- لغة الكتاب: الإنجليزية.

*** كاتب عماني**

الأقل هو الأكثر: كيف سينقذ انخفاض النمو العالم
جايسون هيكيل

زينب الكلبانية *

إنَّ نافذة البلدان لتغيير المسار البيئي المُخيف للأرض تمر بسرعة. مع تحول تغير المناخ إلى أزمة مناخية على مدار العشرين عامًا الماضية، أصبحت الحلول المقترحة التي من شأنها إعادة تشكيل الحياة الاقتصادية أكثر إلحاحاً وجرأة. خاصة وأن التشريع الخاص بالصفقة الخضراء الجديدة في الولايات المتحدة قد قدمته عضوة الكونغرس ألكساندريا أوكاسيو كورتيز والسيناتور إد ماركي في عام ٢٠١٩، وجعل التقدميون العدالة المناخية محورية لكيفية تعاملنا مع التوظيف، والابتكار، ومستويات المعيشة والعدالة الاجتماعية. المبدأ الأساسي هو أنَّه بدون العدالة المناخية، فإنَّ السياسات الهادفة إلى خلق مجتمع أكثر مساواة ستقصر بشكل رهيب، وقد لا يكون لها تأثير دائم على الإطلاق. ومع ذلك، وبقدر ما يتمتع به مفهوم الاقتصاد الأخضر من قوة، فإنَّ المتطلبات الجذرية التي تنطوي عليها العدالة المناخية تكشف عن شرخ بين الإصلاحيين، وأولئك الذين يسعون إلى تغيير منهجي، وهو ما له آثار على كيفية قيام النشطاء بتوضيح ما هو على المحك في العقد الحاسم المُقبل.

«الأقل هو الأكثر: كيف سينقذ تراجع النمو العالم»، وهو كتاب جديد لعالم الأنثروبولوجيا الاقتصادية في لندن جايسون هيكيل، يواجه هذا الصدع، ويحدد الفجوة بين استراتيجيات النمو «الخضراء»، من ناحية، والانتقال إلى ما بعد رأسمالية الاقتصاد من ناحية أخرى. المشكلة الأساسية، وفقاً لهيكيل، هي أن النمو «الأخضر» «خيال» مع «عدم وجود دعم تجريبي»، مما يعزز في النهاية انتشار «النمو» في السياسة. كما يكرر هيكيل في جميع أنحاء Less Is More، فقد فرضت الرأسمالية ضغوطاً هائلة على الترابط البيئي، مما جعلنا أقرب إلى نقاط التحول حيث تصبح مرونة الأرض مستنفدة، وتؤدي حلقات التغذية الراجعة المكثفة إلى حدوث المزيد والمزيد من الأزمات المترابطة. يجادل هيكيل بأن الصفقة الخضراء الجديدة لن تنجح إلا في إيقاف تسارعنا نحو نقاط التحول هذه إذا أحدثت ثورة في طريقة تفكير الحكومات والاقتصاديين والمجتمعات نفسها في النمو. باختصار، يجب أن يتخلى فهمنا الكامل للاقتصاد السياسي عن الأولوية غير المستدامة وغير الأخلاقية التي ارتبطت بالنمو منذ التصنيع.

من خلال تاريخ سريع، ولكنه حي للانتقال من الإقطاع إلى الرأسمالية، يرسم هذا الكتاب المفاهيم والممارسات التي مع مرور الوقت، تساوي النمو بالتقدم، وبالتالي جعلته شرطا مسبقا للسياسة العامة على نطاق عالمي. وصلت أوروبا إلى نقطة تحول بطيئة، ولكنها حاسمة خلال الفترة الحديثة المبكرة، عندما انعكست مكاسب حركات تمرد الفلاحين المتعاقبة من خلال تطويق المشاعات، في ظل نظرية «التحسين» الرأسمالية الناشئة. تبرر هذه الممارسة نزع ملكية الأرض إذا كان من الممكن استخدامها بشكل أكثر إنتاجية في ظل الملكية الخاصة، وبالتالي إعطاء الأولوية لقيمة التبادل على قيمة الاستخدام وتوسيع نطاق تسليع الزراعة، والتصنيع الصغير، والعمل البشري في جميع أنحاء المجتمع. خلقت الدولة القومية الجنينية والطبقة الرأسمالية ندرة مصطنعة للجماهير؛ التي لا تملك الآن والتي تعتمد على الأجور، بينما وسعت منطق التحسين ليشمل المستعمرات البعيدة التي من شأنها أن تزود، غالباً من خلال العبودية أو غيرها من الأساليب الوحشية المماثلة، بالعديد من المواد الخام التي تغذي التصنيع.

عبر العديد من المقاطع البليغة، يستهدف هيكيل الدافع الوجودي للرأسمالية لفصل البشر عن الطبيعة، وتقسيم الكل إلى فئات مختلفة من الموارد. يكتب أن «التحسن أصبح حجة الاستيلاء». ضمنياً في تحليل هيكيل فكرة أن قوة الرأسمالية في وضع الأفراد في منافسة مباشرة مع بعضهم البعض تمثل خروجاً عن الأشكال السابقة للتنظيم الاجتماعي، والنشاط الاقتصادي، فضلاً عن الأساليب السابقة لهيمنة النخب. وهو يجادل بأنَّ «مبادئ الإنسان الاقتصادي التي نفترض أنها محفورة في الطبيعة البشرية قد تم وضعها أثناء عملية التضمين؛ من خلال فلسفة «الثنائية»، حلت حتمية تحويل أكبر عدد ممكن من الأشياء الطبيعية إلى سلع محل المُعاملة بالمثل البشرية مع بقية العالم الطبيعي.

إن هدف هيكيل هو توجيه القراء الجدد إلى خطاب تغير المناخ، والذين يرغبون في فهم القوس الطويل الذي أوصلنا إلى هذه اللحظة المحورية في التاريخ. أدى التصنيع المتقدم والحربان العالميتان إلى نشر الحداثة التكنولوجية في جميع أنحاء أمريكا الشمالية وأوروبا، مع ترسيخ هيكيل القوة بين البلدان الغنية والفقيرة التي كثيرا ما تؤدي إلى ركود التنمية الأخيرة. في الوقت نفسه، أوجدت مهنة الاقتصاد معايير جديدة لقياس النشاط الاقتصادي، ولكن الطريقة التي تم بها قياس الأداء الاقتصادي أصبحت مُهتمة بشكل كبير بالناتج المحلي الإجمالي. بدلاً من اتباع نهج شامل لتقييم اقتصاد البلد من خلال مؤشرات الرفاهية العامة، ضاعف الاقتصاد السائد الحاجة المستمرة لرأس المال إلى التوسع. يذكرنا هيكيل أنه عندما انتهت حقبة ما بعد الحرب الكينزية والنضالات المناهضة للاستعمار، تغلبت «النزعة النُموية» على أفكار أكثر إنصافا للتنمية التي تقودها الدولة في الجنوب العالمي بينما بدأت النيو ليبرالية في تقليص دول الرفاهية في شمال الكرة الأرضية.

ووفقا لهيكيل، فإن «النمو» يرقى إلى مستوى «الانقلاب الأيديولوجي»، لأنه أشاع المعادلة الخاطئة للناتج المحلي الإجمالي والتقدم البشري على مستوى غير مسبوق. تماما كما كانت الحركة البيئية تكتسب زخما، دعمت سلاسل التوريد العالمية الموسعة ونشر النزعة الاستهلاكية على النمط الغربي. وفي الوقت نفسه، أجبرت برامج التكيف الهيكلي من المؤسسات المالية الدولية البلدان النامية على خصخصة أصولها وتقديم أنظمة شديدة التراخي لجذب المستثمرين الأجانب، والشركات متعددة الجنسيات. بحلول نهاية الحرب الباردة، ظلت النظرة العالمية لصانعي السياسة الغربيين الذين يصرحون بالسعي المتواصل للنمو منعزلة على الرغم من الأدلة الواضحة والمُتزايدة على أن تغير المناخ البشري المنشأ، يهدد بحدوث كارثة. كما هو الحال مع ترشيد «التحسين» في الماضي، فإن أيديولوجية النمو كسلعة اجتماعية عالية تسببت دائماً في التكاليف الخارجية للموائل وفقراء العالم كلما أمكن ذلك.

بالنسبة لأولئك الذين يتطلعون إلى الماضي القريب لفهم أين أخطأت الرأسمالية ظاهريًا، فإنَّ وجهة نظر هيكيل واقعية. حتى عندما وصلت دولة الرفاهية الحديثة إلى ذروتها الآن، فإنَّ تلك الفترة الفريدة تاريخيا من «الرخاء المشترك» كانت مرتبطة جزئياً بكميات هائلة من الاستيلاء استمرت لقرون. كما استبعدت أيضًا ملايين الأشخاص داخل وخارج «النواة» الصناعية للعالم. وعدت العولمة بمستقبل تستفيد فيه جميع الاقتصادات، لكنها، على عكس مؤيديها، لم تقلل من تحديات الفقر والتخلف في معظم الحالات. في الواقع، غالبا ما أدخلت شكلا عدوانيا بشكل خاص من استقطاب الدخل، كل ذلك بينما تدعم أنماط استهلاك النخبة التي تختبر بعنف حدود الكواكب.

النتيجة، بالنسبة لهيكيل، واضحة: لا يوجد مسار عملي لإحياء الرأسمالية الديمقراطية، ومحاولات القيام بذلك ستحرمنا من الوقت الثمين الذي نحتاجه لابتكار، وتنفيذ نهج للاقتصاد العالمي قائم على التضامن الراديكالي. يمكن اعتبار انخفاض النمو بدوره شكلاً من أشكال التعويضات العالمية، سواء من خلال إعادة التوزيع أو استعادة مشاعرنا.

لسوء الحظ، عند مناقشة العقبات التي تحول دون مكافحة تغير المناخ، فإنَّ العديد من صانعي السياسات، والسياسيين ذوي التوجه الإصلاحي، يقصرون تركيزهم على صناعات الوقود الأحفوري، دون التذرع بالتاريخ الأوسع الذي يتنقل فيه هيكيل. على الرغم من أن شركات الوقود الأحفوري شائنة، فقد كان من الممكن للحكومة مقاومة الاستيلاء الروتيني على السياسة من قبلها، وتنفيذ اللوائح الصارمة مع تعزيز إنتاج الطاقة المتجددة على نطاق أوسع بكثير. على الرغم من أننا يجب أن ندين فشل الإرادة السياسية هذا، إلا أن التركيز على عدد قليل من المذنبين الهائلين يتجنب مناقشة أكثر صدقاً حول التكاليف التي فرضتها أغنى بلدان الشمال العالمي - وأغنى مستوياتها - على هذا الكوكب. طالما أن القادة التقدميين الذين يصفون أنفسهم بأنفسهم يسعون إلى «إصلاح» الرأسمالية، وتدوينها بطرق جديدة للحصول على «الرخاء المشترك» من خلال النمو، فإن القوة التنظيمية ستفضل الشركات المبتكرة على الشركات العملاقة غير القابلة للتكيف، دون تغيير العقد الأخرى التي تؤدي إلى عدم المساواة العالمية وتغير المناخ.

يحذر هيكيل من أن التركيز المهيمن على مصادر الطاقة المتجددة لا يفصلنا عن الضرورات الزائفة للنمو. علاوة على ذلك، فإن النمو الأخضر هو تناقض لفظي، لأن «الانتقال إلى مصادر الطاقة المتجددة سيتطلب زيادة كبيرة في استخراج المعادن والمعادن الأرضية النادرة»، مما «سيؤدي إلى تفاقم أزمة الإفراط في الاستخراج الموجودة بالفعل». لمنع الاقتصاد العالمي من رفع درجة حرارة الأرض إلى ما بعد ١,٥ درجة مئوية - وهو مستوى من شأنه أن يستمر في الاضطراب البيئي الذي يتكشف في كل قارة، ولكن ربما يمنع هذا النوع من الانهيار المجتمعي الواسع النطاق الذي ستحدثه ثلاث درجات أو أكثر - يجب أن يكون الانتقال إلى مصادر الطاقة المتجددة يقابله تضافر الجهود لتقليل البصمة المادية الإجمالية لأغنى وأكبر الاقتصادات.

بالنظر إلى أن العولمة، رسخت فكرة أن الحداثة والنمو لا ينفصلان، فإن وصفة هيكيل لما بعد الرأسمالية، والتي يشاركها النشطاء الشباب مثل غريتا ثونبرج، وأعضاء تمرد الانقراض، تنفصل بشكل جذري عن السياسة العادية. يتمثل جوهر «الأقل هو الأكثر ›› في أن الندرة المصطنعة التي تتطلبها الرأسمالية أدت إلى نموذج نمو يهدد الندرة الحقيقية، حيث إن الانتهاكات في حدود الكوكب تخاطر بتدمير القدرات التجديدية لأنظمتنا البيئية. بالنسبة إلى منتقدي تراجع النمو والاقتصاد البيئي، فإن فكرة «الأقل هو الأكثر» هي حقاً وجهة نظر هيكيل: إذا كان النمو المركب سيقلب الحضارة الإنسانية من خلال نقاط تحول لا رجعة فيها، فإن الترياق يُدرك أن لدينا الوسائل لتوفير الوفرة دون إدامة مستويات الاستخراج الخطرة.

بالنسبة لأولئك الذين يحلمون باقتصاد عالمي مختلف، فإن تصور حكم ما بعد الرأسمالية أمر مثير حقًا، لكنه يمثل تحديا لا يمكن فهمه تقريباً. كيف تقنع بضع مليارات من الناس بالتخلي عن أنماط الخضوع للرأسمالية المتقدمة، وتؤكد لهم أن سياسة جديدة للإشراف وإعادة التوزيع ستسهل الأمن والحياة الهادفة؟ لنفترض أن غالبية سكان العالم يقبلون علم تغير المناخ، كيف يمكنك دفع المرشحين المناسبين إلى الأغلبية التشريعية التي ستقضي على

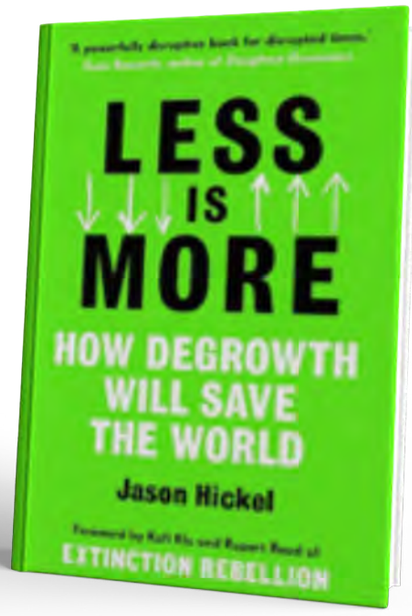

الملوثين الرئيسيين، وتدير أجندة خفض النمو في الوقت المناسب لإحداث فرق؟ هذه أسئلة صعبة، مشحونة بمعرفة أن هيمنة الأحزاب السياسية الرأسمالية في بلدان مثل الولايات المتحدة جعلت أي شكل من أشكال الاشتراكية مرادفًا للفقر.

هناك إجابات جزئية يمكن العثور عليها في إطار عمل ما بعد الرأسمالية في كتاب «الأقل هو الأكثر»، وقد تم تفصيل بعضها بشكل أكثر تفصيلا في أدبيات أخرى حديثة عن تغير المناخ، مثل كتاب Ann Pettifor's The Case For The Green New Deal. خلال مناقشته للتغييرات البراغماتية التي يمكن أن تجريها الحكومات، أشاد هيكيل بنوعية الحياة التي توفرها دول الرفاهية الرأسمالية في الدول الاسكندنافية، لكنه يستشهد بكوستاريكا كتقريب مثالي لاقتصاد دولة يتسم بالمساواة والثبات، والذي حقق معايير قوية للتنمية البشرية. بشكل عام، كان هيكيل في أكثر حالاته إقناعا، عندما يذكرنا بأن المستويات العالية من عدم المساواة تزرع التعاسة. من التقادم المخطط للسلع المنزلية الحديثة إلى إنشاء أو تغيير العلامة التجارية للكماليات، فإن الكثير من الحياة الاقتصادية تحكمها روح القصور، والتي تزداد عبئا من خلال الندرة غير المعقولة للأشياء الفعلية التي تجعل المجتمع متماسكا: الرعاية الصحية والتعليم والإسكان والتغذية والعمل بأجر جيد.

قضية كيفية تقسيم العمل في الاقتصاد الأخضر وضمان أجور جيدة تلوح في الأفق بشكل كبير بالنسبة لمناصري تراجع النمو. ولكن على عكس الاعتراضات التي تشير إلى أن تراجع النمو يصل إلى حد التقشف أو صيغة للضرر الاقتصادي، فإنه يمكن أن يكمل مطالب الحركة العمالية. على مستوى الدولة الفردية، من شأن سياسة تراجع النمو المناسبة أن تؤكد من جديد أهمية نزع سلعة العمل من خلال دولة رفاهية عالمية قوية، وتضمن التوظيف الكامل من خلال أسبوع عمل أقصر، مما يتيح مزيدا من الوقت للأسرة والترفيه. من خلال الحد بشكل كبير من الصناعات كثيفة الكربون، يمكن للسياسة العامة أن تعزز الصناعة المحلية والزراعة المستدامة وأعمال الرعاية، ومنح بعض التوسع في قطاعات أخرى مع تعزيز ضغط الأجور عبر المجتمع. في عالم مثالي، سيسهل هذا التحول الاقتصادي الذي يمكن لغالبية الناس التكيف معه واحتضانه.

ومع ذلك، فإنَّ تراجع النمو محكوم عليه بالفشل النبيل إذا تم تنفيذه فقط من قبل عدد قليل من الدول المنفردة. في حين أنه من المتصور أن اتحادا كبيرا من الحكومات الديمقراطية الاجتماعية قد يكون قادرا على فرض قيود كبيرة على الصناعات الاستخراجية المفرطة، فإن هذا لن يؤدي إلا إلى تخفيف الكثير من الضرر دون إجراء الولايات المتحدة تغييرات رائدة. كان المؤتمر الوطني الجمهوري الأخير بمثابة تذكير مخيف بأن الالتقاء المتضخم للقومية البيضاء والبلوتوقراطية داخل الحزب الجمهوري، يهدد بدفع المجتمع الأمريكي إلى نقطة الانهيار، مما يجعل احتمالية الديمقراطية المحمية، ناهيك عن القيادة الحقيقية بشأن تغير المناخ، بعيدة بشكل متزايد. في خضم كل الخوارق المناهضة للعلم والمواطنة، فإن مجاهدي الحزب الجمهوري ضد «اليسار الراديكالي» والصفقة الخضراء الجديدة فعالون بسبب الارتباطات الغيورة بأسلوب الحياة الذي صقله كل من الجمهوريين والديمقراطيين بقوة. عندما يتردد الجمهوريون بشأن التهديدات التي تتعرض لها «القيم الأمريكية»، فإنهم يبلغون مؤيديهم أن أنماط الاستهلاك التي تعزز التسلسل الهرمي العرقي في البلاد تتعرض للهجوم، وأن أي شيء يحاول إصلاح الرأسمالية - بغض النظر عن الخروج عنها سوف يدمر «الطريقة الأمريكية».

هذا يغذي سياسة الخوف والاستياء مما يمكن أن يضيع، على حساب ما يمكن كسبه - سواء بالنسبة للمجتمع أو العالم. في المقابل، فإن الخلط بين القيم والنزعة الاستهلاكية الجوفاء يبشر بشكل فظيع بأي نوع من التضامن الهادف مع الجنوب العالمي، ويجعل المستقبل الذي تُشحن فيه السياسة الأمريكية بشأن محنة لاجئي المناخ المحليين أكثر وشيكا مع مرور كل عام.

الأقل هو المزيد من المطالب التي لا نستسلم لها، لكنها تحذر أيضا من أن الصفقة الخضراء الجديدة التي يجب أن تبدأ بديلا حقيقيا للرأسمالية من أجل النجاح. كيف نصل إلى هناك قبل أن نتقدم إلى ما بعد ١,٥ درجة يعتمد على مجموعة غير عادية من الإجراءات، وقد يتطلب المزيد من التحديات القتالية والدرامية للمصالح الاقتصادية الراسخة. ولكن ربما يكون الأهم هو زرع الاعتقاد بأن أخلاقيات الإدارة يمكن أن تعيد تعريف الحياة الجيدة - وتوفر الوفرة والأمان اللذين سيدمرهما الدفاع المتعصب عن الرأسمالية.

· اسم الكتاب: الأقل هو الأكثر: كيف سينقذ انخفاض النمو العالم

· المؤلف: جايسون هيكيل

· سنة النشر: 2020م

· دار النشر: ويندامیل للنشر

*** كاتبه عمانية**

الجغرافيا الاقتصادية: الأسواق والشركات والبيئة وتحديات العالم المعاصر

فرانشيسكو ديني وباتريتسيا روميّ وفيليبو راندييللي

فاتنة نوفل *

تدرس الجغرافيا الاقتصادية العمليات الاقتصادية وكيفية تحقيقها بشكل ملموس، بما يتعلق بالموارد والتقنيات المتاحة والشكل الذي تقدمه للأسواق وللشركات في الإقليم والمنطقة. إن النظم البيئية والأسواق والشركات التي تمت دراستها من منظور جغرافي هي الموضوعات التي وضعها هذا الكتاب بتوضيح كيف اتخذت العلاقة بين الأنشطة الاقتصادية والبيئة استراتيجيات معينة لاستغلال الموارد منذ ظهور الأشكال المنظمة الأولى للإنتاج وحتى يومنا هذا.

قبل ١٠٠٠ عام، كان متوسط دخل الفرد على هذا الكوكب ٤٣٥ دولارًا سنويًا، مقارنة بـ ٢٥٠ مليون نسمة. تم تقسيم السكان على النحو التالي: البدو الذين يشكلون الجزء الأصغر وهم الأشخاص الذين يتنقلون باستمرار دون أن يكون لديهم مسكن ثابت والمجتمعات الدائمة وتتكون من غالبية السكان. بالإضافة إلى ذلك، تم تقسيم السكان إلى مجموعات من العصر الحجري الحديث وأخرى توصلت إلى علم المعادن. كانت هذه الأخيرة منتشرة على نطاق واسع في أوراسيا وأفريقيا وأمريكا، وكانت هذه القارات الثلاث مختلفة في طبيعتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ولكنها مرتبطة بنفس وسائل العيش (الزراعة).

كان لأوراسيا ميزة إنتاجية على القارات الأخرى، وذلك بسبب التفاعل الأفضل بين التربة والمناخ والذي أدى أيضًا إلى زيادة ديموغرافية كانت تؤدي إلى «فخ مالتوس، في إشارة إلى الاقتصادي الإنجليزي توماس مالتوس» الذي يتكون من قدرة السكان على الصمود أمام التحسينات في الحياة المادية المرتبطة بزيادة الإنتاجية الزراعية مما يُؤدي إلى انخفاض معدل الوفيات وبالتالي تقليل مستوى معيشة الفرد.

في عام ١٩٧٠ بدأ العالم يتكلم عن العالم الثالث بالحديث عن محيط المركز الذي تم برسم خط (خط براندت) ليفصل بين الدول الغنية والدول الفقيرة (الشمال والجنوب)، وهو ليس خطًا محددًا ولكن به تقلبات مختلفة لأنه حتى في الشمال هناك اقتصادات متخلفة. يقوم تعريف «الغرب والباقي» على أنَّ الثروة تتركز في الغرب فقط، وهذا ليس صحيحًا إذا اعتبرنا أن الدخل الياباني كان أعلى بثلاثين عامًا من الدخل في أوروبا الأطلسية.

وفقاً لكلاوس أوفي عالم الاقتصاد الألماني أنه خلال الثلاثين عاما الماضية كانت الرأسمالية «غير منظمة»، أي أنها كانت ستفقد تلك السمة الأساسية للتكامل بين الأسواق وعملية تكوين الدولة التي أشار إليها المؤرخ الفرنسي فيرناند براوديل على أنها المفتاح لفهمه، حيث لم تعد الشركات تنتج بشكل أساسي على أراضيها الوطنية. لذلك لم تعد أو تكاد تخضع للقوانين الوطنية. وبالتالي فإنَّ الدولة صغيرة جدًا وكبيرة جدًا في الوقت نفسه («صغيرة جدًا» هي الدولة التي تكون قادرة على السيطرة على الجهات الفاعلة العابرة للحدود الإقليمية، و«كبيرة جدًا» تلك التي تتمكن من التوفيق بشكل ملائم بين المصالح المتباينة لها في المناطق التي لم تعد تستجيب في الغالب للسوق الداخلية، ولكن للسوق العالمية ولديها احتياجات مختلفة فيما بينها) فتتنازل عن حصص من السيادة لصالح الكيانات فوق الوطنية، وللأسفل للاستقلال الذاتي الإقليمي. وهذه هي «أزمة الدولة القومية» ولا بد من القول إنه لا يبدو أن كل الدول القومية في أزمة، أو على الأقل هذا ما يظهر اليوم مع ظهور كيانات الدولة التي بينما تستعير النموذج الغربي التقليدي، لها خصوصيات كل ما هو غير عادي؛ إذ لا يزال بإمكانهم تنشيط الطاقات الجماعية القادرة على الاحتفاظ بجزء كبير من عمليات تكوين الثروة التي تحدث في مناطقهم.

لقد غيرت العقود الثلاثة الماضية وجه الاقتصاد العالمي بالكامل وجعلت جميع الأجيال تعتقد أنها تعيش في فترة تاريخية حاسمة، نحن جيل اليوم الذي يكتب كتبًا عن الاقتصاد العالمي اليوم والذي دخل إلى سوق عمل وطني محمي - كان سوقًا داخليًا محميًا سياسياً - حيث كان هناك تقارب اقتصادي وسياسي حول الحاجة إلى العمالة الكاملة وحيث وجد الجميع عملًا منه ما هو أفضل أو أسوأ اعتمادًا على الخلفية والقدرة والحظ دون استثناءات كبيرة.

يدخل هذا الجيل في سوق العمل مع حماية معيارية قليلة أو معدومة، في منافسة غير متوازنة مع أسواق العمل الجغرافية الأخرى بما في ذلك الأسواق العالمية حيث يبدو لبعض الوقت أنه يتعارض مع طبيعة عمل الديمقراطيات التمثيلية على أساس الجولات الانتخابية إذ لم يعد هناك تقارب حول الرغبة الاقتصادية والسياسية في التوظيف الكامل.

والنتيجة أن نسبة كبيرة ممن يدخلونه لا ولن يجدوا عملاً، وما تسبب في كل هذا هو «العولمة» وهي الثمرة المنهجية للمبادرة السياسية والفرص التكنولوجية ونضوج الأسواق والتي تُستَمَد منها القواعد الجديدة لربحية الاستثمارات والمواقف المتجدد لقوة الولايات المتحدة الدول في الأسواق، وظهور الصين وصعوبة ثلاثين عامًا لاقتصادات مثل إيطاليا واليابان، وانتشار ما يسمى بالدول النامية التي يخضع بعضها لعمليات تنمية قوية والبعض الآخر لانحرافات معممة للأزمة جنبًا إلى جنب مع سلسلة أخرى من العواقب التي على الرغم من ارتباطها بالاقتصاد تتجاوز البُعد الاقتصادي الصارم وتشمل النظم البيئية.

يكمن الاختلاف الأساسي في حقيقة أن عمليات تكوين الثروة التي تم تنفيذها إلى حد كبير داخل الأسواق الداخلية المحمية أي على المستوى الوطني -أسواق الحرب الباردة من فترة ما بعد الحرب إلى أوائل الثمانينيات - تميل إلى أن تصبح «عالمية» حيث سُمِحَ بشكل تنظيمي لرؤوس الأموال وعوامل الإنتاج والسلع بالتداول دون عوائق من بلد إلى آخر، بناءً على ربحية التدفقات والمواقع.

كانت العواقب المباشرة على الأسواق اثنتين: الأولى هي إعادة تخصيص الأنشطة الاقتصادية في جميع أنحاء العالم والتي انتقلت إلى حيث كان ذلك أكثر ملاءمة للمستثمرين. لهذا السبب تخلت الصناعة تقريبًا عن الدول الغربية التي كانت تطورها وتحميها منذ أكثر من مائتي عام، لتهاجر إلى حيث تكون تكلفة الإنتاج أقل وليس فقط في أماكن منضبطة مع خدمات جيدة؛ إن تكلفة إفريقيا أقل من تكلفة الصين ولكنها لا تتمتع بخدمات جيدة ولا انضباط، لذا فهي ليست جذابة

للمستثمرين.

والنتيجة الثانية هي استعادة الأسواق المالية الدولية التي ألغيت في الحرب الباردة بمنع الأفراد من الاتجار الدولي بالعملات، بسبب الحاجة الواضحة للاحتفاظ برأس المال في الأسواق المحلية من أجل تعزيز النمو الاقتصادي ومعه الموافقة على النموذج الغربي.

إذا أرادوا عولمة الأسواق، كان من الضروري أن يتم تداول رأس المال بحرية والذهاب إلى حيث يكون أكثر ملاءمة لهم، بالإضافة إلى نقل الأنشطة الإنتاجية وهو ما كان ممنوعًا حتى الثمانينيات من بيع وشراء رأس المال من دولة إلى أخرى، أي الأسواق المالية العالمية. وبما أنَّ هذه الأسواق مربحة للغاية أكثر من أسواق السلع المادية فقد اجتذبت قدرًا هائلاً من الاستثمارات مما أثر بقوة على الاقتصاد العالمي بأكمله وأصبح سوقه المرجعي الأصيل. استمر كل هذا لما يقرب من عشرين عامًا، متغلبًا بشكل دوري على بعض أزمات التقلبات المالية المحلية حتى بدأ في عام ٢٠٠٦ يشعر بأزمة قوية في سوق العقارات الأمريكية وفي عام ٢٠٠٨ انهارت الأسواق المالية العالمية، مما أدى

إلى كساد لم ينته بعد لكن تنظيم هذه الأسواق منذ ذلك الحين لم يتغير بشكل كبير ولا تزال تشكل عنصراً هاماً من عوامل عدم الاستقرار. لقد تغيرت الشركات وفقًا لذلك، لدرجة أنه لا يمكن التعرف عليها مقارنة بتلك التي كانت موجودة قبل بضعة عقود، فلديها الآن التقنيات المتاحة للتفاعل عن بُعد وتنسيق عملياتها في ظروف التشتت الجغرافي مما أدى إلى تحويل الأسواق إلى احتكار قلة على مستوى العالم بشكل عام. كل هذا ما كان ليحدث بدون وفيات وإصابات: فقد مات العديد من الشركات من خلال الإفلاس أو في مرحلة التأسيس وظهر عدد أقل من الشركات الكبيرة القادرة على إدارة الأسواق العالمية.

وبينما كانت الأسواق والشركات تتغير وتتوسع، كانت العمليات الأخرى تغير الهيكل العام لاقتصاداتنا ومجتمعاتنا، التغييرات التي تمتلك الجغرافيا الاقتصادية الأدوات اللازمة لمراقبتها بدقة كبيرة.

يوجد في الكتاب فصلان مخصصان للطريقة والأدوات النظرية التي طورتها الجغرافيا الاقتصادية في العقود الأخيرة أو شاركتها مع التخصصات الاقتصادية الأخرى - الاقتصاد السياسي في المقام الأول - موجهةً إياها إلى تفسير العملية الاقتصادية من حيث كيفية حدوثها بالفعل ومدى اختلافها هيكلياً مع تغير ظروف السياق.

لا تنتمي الجغرافيا الاقتصادية إلى مجال الاقتصاد فحسب، بل تنتمي أيضًا إلى مجال العلوم الاجتماعية ولا يسعها إلا أن تشارك النماذج العلمية المرجعية معها. لذلك هناك في الجغرافيا الاقتصادية عقلنة النماذج القائمة على التجريد والاستخدام المكثف لعبارة «ثبات العوامل الأخرى» والنظريات

الشاملة القائمة على فكرة التعقيد والتشابه مع علم الأحياء.

إن العنصر الذي تم استخلاصه في فصول الكتاب هو حقيقة أن العملية الاقتصادية ليست منفصلة عن البعد المادي الذي تحدث فيه بل إن هذا البعد المادي هو العملية الاقتصادية، ولهذا السبب كان هذا الكتاب مبنياً على العلاقة العضوية والدائرية بين الأسواق والشركات والبيئة، وهي المفاهيم الثلاث الموجودة في العنوان الفرعي.

المحاولة المستمرة للحفاظ على هذه الأبعاد الثلاثة معًا، وهي محاولة معقدة - على سبيل المثال تطور التقنيات - هناك الكثير من الفرص، لكن هناك أيضًا العديد من التهديدات الخطيرة. إن منعطف هذا القرن يَعد بعمليات تغيير مهمة ولكنه يشهد أيضًا تهديدات أكثر خطورة من تلك التي واجهتها أجيال الماضي. بدا فيه من الضروري أيضاً ذكر تحديات الاقتصاد المعاصر ووباء كوفيد ١٩ الذي سيكون له آثار ثقيلة جدا، من المستحيل قول أي شيء على المدى القصير لأن الوباء لا يزال مستمراً، وليس من الواضح على الإطلاق ما إذا كانت موجات العدوى الأخرى ستتكرر ولا ماذا سيحدث، وكلما طال أمد تأثير الحظر على المعاملات الاقتصادية أصبح الوضع أكثر صعوبة بالنسبة لأضعف اللاعبين في السوق، والذين سيتم القضاء عليهم، وهذا لا يعني أنه حتى الشركات العملاقة لا يمكن القضاء عليها أيضًا بانهيار الربحية وما يتبعه من انكماش مهم للغاية وطويل الأمد.

هل يحدث الشيء نفسه في الصناعة؟ بعد كل شيء، لم يكن هناك الكثير من الرجال على وجه الأرض في عصري الزراعة والتجارة كما في عصر الصناعة، وليس الكساد الحالي هو الذي يمكن أن يعيق القدرة على إنتاج واستخدام موارد تطوير الذات، ربما تبدأ من هنا إعادة التفكير في تلك المخططات التفسيرية.

تشير الأمم المتحدة إلى سبعة عشر هدفًا من أهداف التنمية المستدامة وتقول إنها تمثل التحديات من الآن وحتى عام ٢٠٣٠. إن التناقضات التي خلفتها القرون السابقة للقرن الجديد - سواء من القرن العشرين أو من الماضي - هي ثقيلة ومعقدة للغاية. إن مسار التنمية البشرية قد مرّ عبر سلسلة من الاستراتيجيات لاستغلال الموارد، أي من الطرق الخاصة التي ننتج بها الغذاء والطاقة، والمنتجات والخدمات التي نحتاجها للبقاء على قيد الحياة والحفاظ على كفاءة العمليات الاقتصادية والاجتماعية. قبل قرنين ونصف من الزمان طورنا نظاماً صناعيًا حقق نجاحًا غير عادي ولكن شَكَّل ضغطاً أيضًا على النظام البيئي. قبل أن يتم توجيه هذا الضغط نحو أنظمة بيئية محلية محددة تم تعطيلها بشكل مباشر ووصلت في النهاية إلى الكتلة الحرجة لتهديد النظام البيئي العالمي والدورات الطبيعية التي ضمنت توازنه.

اليوم - وهنا تكمن خصوصية هذا القرن - نمر بأزمة استراتيجية استغلال الموارد والمحاولات المعقدة والمتعبة لتطوير استراتيجية أخرى تتناسب مع حالة الأشياء. كمية الكتلة الحيوية البشرية ونموذج الإنتاج لدينا والاحتباس الحراري وعدم تناسق التوزيع العالمي الذي يجعل العالم ليس غير عادل فحسب، بل غير فعال بيئياً، وطرق تنظيم الممارسات والقيم العملية الاقتصادية، والخلفية التكنولوجية وطريقة استخدامها، والعلاقة بين التقنيات الجديدة وأسواق العمل بكل المخاطر النظامية التي ينطوي عليها، وما إلى ذلك. إنها تحديات هائلة وليس من السهل مواجهتها كما يتضح من صعوبة تنفيذ سياسات بيئية فعالة والحديث عن وجهات النظر ليس بالأمر السهل، وستتطلب السيناريوهات تحليلات أكثر تعقيدًا مما تم نشره، يمكن تلخيصها في صيغة؟ حسنًا، سوف نتأذى بالتأكيد. لكن ليس بالضرورة أن نموت بسببه.

· العنوان: الجغرافيا الاقتصادية: الأسواق، والشركات، والبيئة وتحديات العالم المعاصر

· المؤلف: فرانشيسكو ديني، وباتريتسيا روميّ و فيليبو راندليلي

· دار النشر: جامعة موندادوري

· بلد الاصدار: إيطاليا

· لغة الكتاب: الايطالية

· تاريخ الاصدار: نيسان/أبريل 2020

· عدد الصفحات: 336

* مترجمة عربية مقيمة في إيطاليا

عشر دروس من الوباء

فريد زكريا

محمد السماك *

أدى انتشار وباء كورونا (كوفيد-١٩) في العالم إلى رفع علامات استفهام حول حقيقة العلاقات بين الدول، وبين شعوب مختلف هذه الدول.

فالولايات المُتحدة مثلاً حيث صدر هذا الكتاب للإعلامي الأمريكي - من أصل هندي- الدكتور فريد زكريا (مدير برنامج سياسي في محطة سي.أن.أن. متخرّج من جامعة هارفرد بدرجة الدكتوراه في العلوم السياسية)، تعتبر أنَّ الوباء أدى في عام واحد إلى موت أكثر مما فقدته (الولايات المتحدة) من ضحايا في الحرب العالمية الثانية التي استمرت أربع سنوات. وعندما صدر الكتاب كان عدد ضحايا الوباء في أمريكا تجاوز المليون (وقد ارتفع العدد منذ صدور الكتاب) . أما عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية من الأميركيين فبلغ ٢٩١،٥٥٧ عسكرياً.

وطوال أيام الوباء، كانت الولايات المتحدة تفقد يومياً أكثر مما فقدته يوم القصف الياباني على قاعدة بيرل هاربور، وحتى أكثر مما فقدته يوم ١١ سبتمبر - أيلول ٢٠٠٣، يوم تدمير برجي التجارة العالمية في نيويورك في عملية إرهابية إجرامية.

وبالمقارنة مع انتشار الأنفلونزا الإسبانية في عام ١٩١٨، كان يموت في الولايات المتحدة يومياً أكثر من ستة آلاف شخص. في ذلك الوقت كان عدد السكان أقل مما هو الآن. إلا أن النسبة تعتبر أقل من نسبة ضحايا كورونا، وينطبق هذا الواقع المأساوي على بقية دول العالم في الشرق والغرب دون استثناء.

من هنا التداخل المباشر بين العلاقات العالمية، وعالمية الوباء. وهو التداخل الذي تحدّث عنه المؤلف سلباً وإيجاباً، والذي استخلص منه الدروس العشرة التي عنون بها كتابه الجديد.

تدور هذه الدروس حول ثلاثة محاور هي:

الحكم، وأولويات عملية اتخاذ القرارات.

الاقتصاد، ودور الدولة.

الثقافة، والعلاقات الإنسانية.

ويجمل المؤلف المحاور الثلاثة بعبارة واحدة وهي «التاريخ التطبيقي» للعلاقات بين الأمم والشعوب في ظل وباء انتشر في أقصاء العالم.

قال المؤلف إن وباء الإنفلونزا الإسبانية الذي انتشر في العالم بعد الحرب العالمية الأولى أودى بحياة ٥٠ مليون إنسان. وهناك تقديرات ترفع العدد إلى مائة مليون. ذلك أن العلم الإحصائي لم يكن في مستوى ما هو عليه في الوقت الحاضر . ثم إن الإنسانية ليست غريبة عن هذه الظواهر الوبائية؛ فالطاعون الأسود (أو الموت الأسود) الذي اجتاح أوروبا في القرون الوسطى أودى بحياة ما بين ٧٥ و٢٠٠ مليون إنسان، واستمرت مفاعيل هذا الوباء قرناً كاملاً. أما وباء الإنفلونزا الإسبانية فقد تلاشى بعد عامين فقط. وقبل هذا وذاك عرف الوباء طريقه إلى أثينا اليونانية ولم تتخلص منه إلا بعد أن قضى على مُعظم أهلها.

وأشار المؤلف إلى أن الإنسانية لم ترَ الفيروس ولم تتعرف على شكله إلا في الثلاثينات من القرن الماضي عندما اكتشف الميكروسكوب الإلكتروني، أما الآن فإن العلماء تمكنوا وبسرعة من التعرّف على فيروس كورونا، كما تمكنوا من تشريحه ومن تحديد مكوناته ومواصفاته بصورة فورية، وأنهم بدأوا البحث فوراً عن عقار له . لقد تعلّم العالم من الدروس السابقة، بأدوات علمية لم تكن متوفرة في السابق، فكان اكتشاف اللقاح -بل اللقاحات- في وقت قصير نسبياً . ولكن قبل هذا الاكتشاف انفجر حوار علمي حول المبدأ الوقائي الذي يجب اعتماده في التعامل مع هذا الفيروس. فقد انقسم علماء الفيروسات إلى قسمين؛ ضمّ القسم الأول مجموعة من العلماء والاختصاصيين من جامعات هارفرد وستانفورد في الولايات المتحدة وأوكسفورد في بريطانيا. طلع علماء هذه الجامعات العالمية المرموقة بنظرية جريئة قالت بانتشار الوباء بشكل حرّ بين الشباب والأصحاء وفي الوقت ذاته إبعاده عن العجزة والمسنّين والمرضى، مما يحقق «وقاية القطيع» herd immunity. وتقول النظرية التي عرفت باسم هارينغتون، نسبة إلى المدينة الأميركية التي صدرت منها، إن ذلك سوف يؤدي إلى وقف انتشار الوباء .

ولكن هذه النظرية الجريئة تصدت لها نظرية معاكسة قالت بها مجموعة أخرى من كبار العلماء أيضاً ونشرت في مجلة لانست (Lancet) الطبية؛ وصفت نظرية هارينغتون بأنها نظرية خطيرة وأنها لا تستند إلى حقائق علمية، وأطلقوا على نظريتهم المعاكسة هذه اسم جون سنو، وهو عالِم إنجليزي كان أول من وضع أسس علم الوبائيات في العام ١٨٥٠ .

والغريب في الأمر أن أصحاب كل نظرية حصلوا على تواقيع علماء يؤيدون ما قالت به كل من النظريتين المتعاكستين من كل أنحاء العالم. ولم يحسم هذا الجدال العلمي إلا الإعلان عن اكتشاف اللقاح، أولاً في الولايات المتحدة، ثم في الصين، وبعد ذلك في بريطانيا. وتشكل هذه الواقعة العلمية أساساً لاستخراج العديد من الدروس والعِبر .

وبعد أن يقدم المؤلف هذه الصورة عن عالمية المأساة، وعن حجمها القاتل، يركز على الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية، فيقول إنه مع ارتفاع عدد الضحايا كان هناك انخفاض في حجم الاقتصاد. ويُجري بعد ذلك مقارنة علمية بين الأمس واليوم. فيقول إنه في السابق أدى التراجع في النمو الاقتصادي إلى انهيارات مالية وكوارث اجتماعية وإنسانية. تعلمت الدول من تلك التجارب المؤلمة، فعملت على تجاوز تداعياتها الكارثية بضخ الاقتصادات المحلية بدعم مالي غير مسبوق.

لقد انعكس التراجع الاقتصادي في ظل جائحة الانفلونزا الإسبانية والانكفاء الرسمي عن المبادرة لضخ دم الاقتصاد (المال) في الشرايين الجافة إلى وقوع الانهيار الكبير في عام ١٩٢٠ . أما الآن، كما يذكر المؤلف، فقد بادرت الدول، التي تعلّمت الدرس، إلى التدخل الفوري سواء في الولايات المتحدة أو الاتحاد الأوروبي أو الصين، وكذلك في الهند واليابان، بضخ مئات المليارات من الدولارات في الاقتصاديات المترنحة من أجل مساعدتها على الوقوف على أقدامها من جديد لتجنّب انهيار مماثل لانهيار ١٩٢٠ . لقد تعلّم الاقتصاديون الدرس . وفي ذلك لم يكونوا وحدهم . العلماء أيضاً تعلّموا الدرس وسرّع من تعلّمهم امتلاكهم الأجهزة الالكترونية الحديثة . وبذلك سجلوا رقماً قياسياً في التوصل إلى اللقاح ضد الفيروس القاتل. ومن الدروس أيضاً، المساعدات المالية الاجتماعية للذين فقدوا أعمالهم نتيجة انتشار الوباء، وهو ما لم يكن يحدث في السابق.

فعلت ذلك الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي، وفعلت ذلك أيضاً الصين وإستراليا واليابان، ولكن كان هناك العديد من الدول الأخرى في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية التي وقفت عاجزة مكتوفة الأيدي لعدم توفر احتياطي كاف لضخّه في الاقتصاد الوطني المترنح. وكانت النتيجة اضطرابات اجتماعية ومآس إنسانية حادة !!

وقف العالم أمام مؤشرين:

المؤشر الأول لعدد المصابين ولعدد الوفيات

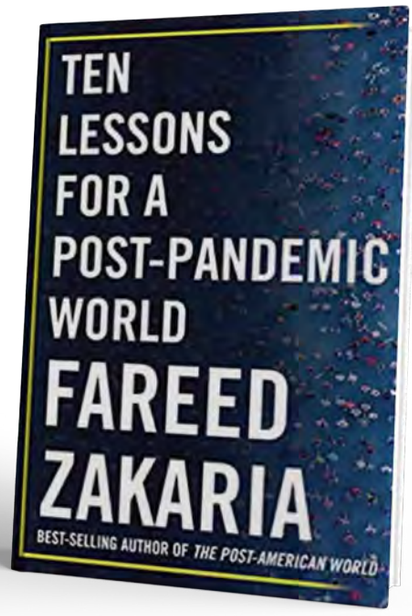

والمؤشر الثاني لنسبة التراجع الاقتصادي والنمو الاجتماعي .

توقف المؤلف فريد زكريا مطولاً في الكتاب أمام المؤشرين اللذين يحددان كيفية تعامل الولايات المتحدة مع الوباء انطلاقاً من أنها الدولة الكبرى في العالم، فقال إن عليها أن تخرج من دائرة البحث عن حكومة صغيرة أو حكومة كبيرة، إلى البحث عن كيف تكون حكومة قادرة وجيدة، مذكراً بعبارة شهيرة للرئيس البريطاني الأسبق ونستون تشرشل يقول فيها بتهكم :» إن الولايات المتحدة تفعل دائماً الشيء الصحيح ولكن بعد أن تجرّب البدائل الآخرى كلها «.

وقال المؤلف إن الولايات المتحدة تفاخر بأن لديها أفضل المؤسسات الطبية، ولكن العناية الطبية للعامة من المواطنين كانت في أسوأ حال . ودعا إلى تقليد التجارب الناجحة التي اعتمدتها دول شمال أوروبة مثل الدانمرك والسويد اللتين وصفهما بأنهما « أرض الميعاد الجديدة».

وقارن د. زكريا بين الولايات المتحدة - الدولة الكبرى- والدانمرك، إحدى أصغر دول أوروبة الشمالية، ووصفهما بأنهما على طرفي نقيض. وتهكّمَ «داعياً الدانمرك إلى احتلال أميركا لعدة عقود من أجل تطوير ٣٣٠ مليون أميركي يعتمدون في تنقلاتهم على شركة «أوبر» !!

وفي تناوله الحالة العالمية بعد الوباء، قال المؤلف إن الولايات المتحدة ليست هي منشأ المتاعب التي يعاني منها العالم، ولكن هذه المتاعب تقع في صميم وفي عمق الحداثة والعولمة والهجرة وآليات العمل الجديدة (الإلكترونيات) . وكذلك في تآكل وتعفّن المدن الكبرى . وأشار إلى أن هذه المآسي كانت موضع اهتمام علماء التربية والاجتماع والآداب منذ إشراقة العصر الصناعي.

وفي الفصل الأخير من الكتاب، قال المؤلف :

«إن هذا الوباء القبيح فتح الطريق أمام عالم جديد . وهو عالم يقوم على نوع جديد من الرأسمالية. وأساس هذا النوع الجديد أنه يغيّر أو يحاول أن يغيّر الوقائع التي سادت في معظم المجتمعات الغنية حتى اليوم، والتي كانت تضيق ذرعاً بنظريات العقد الاجتماعي الذي يعمّ خيره على الجميع . وهذا يعني أن على الحكومات في الدول الرأسمالية التقليدية أن تلعب دوراً أكثر فعالية في الاقتصاديات الوطنية، وأن عليها أن تعتبر الإنفاق على الخدمات العامة نوعاً من الاستثمار . وربما عليها أيضاً أن تضع جدولاً لإعادة توزيع الثروات الوطنية».

وفي الفصل الأخير من الكتاب، دعا زكريا الدول، في كتابه الذي يبدو وكأنه دليل علمي لمرحلة ما بعد الكورونا، إلى اعتماد سياسة دعم الاستثمار وليس إلى دعم الاستهلاك.

إن العالم الجديد الذي تصوّرَ المؤلف قيامه، أو العالم الذي دعا إلى قيامه بعد كارثة الوباء التي حلّت به، يقول بقيود وحواجز أقل وبانفتاح وتعاون أكثر.

الكتاب : عشر دروس لعالم ما بعد الوباء

المؤلف : فريد زكريا Fareed Zakaria

الناشر : نورتون وشركاه N.N. Norton and Company

الصفحات : 307

التاريخ : 2021

* مفكر لبناني متخصص في دراسات العلوم والسياسة والفكر الإسلامي

إصدارات عالمية جديدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

الكتاب: حياة على كوكبنا
المؤلف: دافيد أتينبوروغ
الناشر: منشورات فلاماريون، فرنسا.
تاريخ النشر: 2021
عدد الصفحات: 288 صفحة

تتجلى المأساة الحقيقية في عصرنا تدريجيا و أمام أعيننا، وعلى نطاق الكوكب بأسره في اختفاء بيئتنا الطبيعية وسيرها نحو الانقراض. إن طريقتنا الحالية في الحياة تدفع التنوع البيولوجي إلى تدهور واضح ، وقد يحدث ذلك في حياتنا الحالية . تمامًا كما حدث بعد مأساة تشيرنوبيل ، إذ أصبحت مدينة بريبيات الحديثة للغاية غير صالحة للسكن وهُجرت في غضون ثمانية وأربعين ساعة، لذلك لن يكون من الممكن العيش على كوكبنا إذا استنفدنا أنظمته البيئية.

هذه شهادة الكاتب دافيد أتينبوروغ تقدم رؤية للحاضر والمستقبل ومجمل المخاطر المحدقة به. يطرح الكتاب عدة أسئلة ويحاول الإجابة عليها؛ لماذا وصلنا إلى هذا المستوى وكيف ، إذا تصرفنا الآن في الاتجاه الصحيح، هل لا زال هناك متسع من الوقت لإنقاذ الحياة على هذه الأرض؟؟

الكتاب: في مكتب المجلة: تاريخ النشر العلمي في (القرنين التاسع عشر والعشرين)
المؤلف: فاليري تسنير
الناشر: EHESS باريس
تاريخ النشر: 2021
عدد الصفحات: 412 صفحة

بين تاريخ العلم وتاريخ النشر ، تتعقب فاليري تسنيير تاريخ النشر العلمي وينابيع العمل الفكري ، منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى التغيرات الرقمية الحالية. «في مكتب المجلة» هو عنوان ظهر في المجلات العلمية في القرن التاسع عشر ، والذي يُحدد كلا من الكتابة العلمية ومكان النشر. يتساءل الكتاب عن المجموعة التي تقف وراء هذا التعبير وتطلعاته والتوترات التي مر بها.

أثارت المجلة حماسة كبيرة في أعقاب الثورة الفرنسية، بحيث أصبحت الحياة العلمية مبنية على النشر. تمثل المجلة عنصرًا مركزيًا في الصيرورة العلمية وتطورها، وتعكس حركة البحث كبعد جماعي. يتحد فيها المؤلفون والناشرون لتعزيز نشر ما أصبح الوسيلة المفضلة للتبادل المعرفي في العالم الأكاديمي ، مما أدى إلى ولادة اقتصاد معرفي جديد. من خلال التركيز على مثال الإنتاج الفرنسي المستنير من خلال السياق الدولي ، يستكشف كتاب «في مكتب المجلة» الطريف والمثير أدوار مختلف الجهات الفاعلة في سلسلة النشر بالإضافة إلى الوظائف والأشكال التحريرية للمنشورات ، التي تأثرت حاليًا بالتكنولوجيا الرقمية وقلصت من دورها الأكاديمي والمعرفي وإشعاعها الثقافي والعلمي.

الكتاب: العوالم الأخرى: هل نحن وحيدون في الكون؟
المؤلف: ترينه شيان ثوان
الناشر: منشورات فلاماريون، فرنسا.
تاريخ النشر: 2021
عدد الصفحات: 544 صفحة

هل توجد كواكب مماثلة للأرض؟ وهل تتوفر على مقومات الحياة؟ منذ آلاف السنين أذهل تعدد العوالم الكونية العلماء ، من ديموقريطس إلى كارل ساغان ، بما في ذلك جيوردانو برونو وكامي فلاماريون. اليوم ، ولأول مرة في تاريخ جنسنا البشري ، نملك العلم والتكنولوجيا لتسليط الضوء على هذا السؤال ، ولا سيما مع اكتشاف الآلاف من الكواكب خارج مجموعتنا الشمسية. يجدر بنا أن نعرف ما إذا كانت ذكاءات أخرى غير ذكائنا تستوطن الكون وكيف يمكن التواصل معها ، أو ربما الانضمام إليها ...

في هذا المؤلف الجديد ، الذي يجسد العديد من موضوعاته المفضلة ، يقود العالم ترينه شيان ثوان بالتحقيق في محاولة منه لكسر صمت الكون. لذلك يقدم لنا أحدث ما توصلت إليه طرق الكشف المتاحة ونتائجها ، مع تقديم انعكاس مذهل عن القوى المعارضة التي تحكم ظهور الحياة والوعي. ولأنه يعتبر نفسه عالما إنسانيا ، فإنه يدعو بلا هوادة إلى ضرورة الوصول إلى الاكتشاف العلمي الاستثنائي الذي يمكن أن يحدث عندما نكتشف أننا لسنا وحدنا في هذا الكون.

إصدارات عالمية جديدة

اللغة الإنكليزية (محمد الشيخ)

الكتاب: كيف نستدل؟
مدخل إلى المنطق
المؤلف: فوريست بيرد
دار النشر: آي في بي أكاديميك
سنة النشر: 2021

عادة ما يشتكي الطلبة من وعورة المنطق. وقد بذلت العديد من الجهود لتقريب المنطق حتى بالأمثلة العامية. وينساق هذا الكتاب في هذا المساق؛ تقريب المنطق وتبسيطه وجعله سهل المأخذ يسير المتناول. وهو كتاب يحاول الإجابة عن التساؤلات التالية؛ كيف يشتغل المنطق بالضبط؟ وما الذي يجعل بعض الحجج محقة وبعضها مبطلة؟ كيف يبدو التداول الوفي للمنطق؟ وهكذا، فإنه في هذا الكتاب، الذي يُعد بمثابة مدخل إلى المنطق، يسعى مؤرخ الفلسفة الأمريكي ناشر المجامع الفلسفية في الفلسفة القديمة والوسيطة والحديثة من التقاليد الفلسفية الغربية وغير الغربية إلى بيان أسس الاستدلال المنطقي البشري، وإلى إبراز أنواع الحجج والشبه، وإلى إظهار صنوف القياسات والرموز والدلائل؛ وذلك كله من خلال أمثلة تقريبية وتمارين تدريبية.

الكتاب: فلسفة الزمن
(مدخل معاصر)
المؤلف: سين إندا باور
دار النشر: راوتليدج
سنة النشر: 2021

صاحب هذا الكتاب باحث فيلسوف شاب لا شغل له منذ أن عقل فلسفته اللهم إلا التعلق بالزمن حد التهوس به. وهو يعتقد أن انشغاله بالزمن متأت عن كون هذا الموضوع يعد ملتقى مباحث فكرية من داخل الفلسفة ومن خارجها. وقبل إخراج هذا الكتاب، كان قد اهتم الرجل بالعلاقة بين الزمن والخبرة؛ لا سيما منها ما تعلق بالغلط في الإدراك - الوهم، الهلوسة - ثم صار إلى التنبه إلى إحساسنا بالزمن في ما وراء ما نخبره؛ على نحو يحدث في مضمار الفن مثلا. وفي هذا الكتاب المجموع يؤالف الباحث بين عدة مقاربات فلسفية للزمن وغير فلسفية تناظرت حوله وفيه؛ الميتافيزيقا، الإبستمولوجيا، الفيزيقا، فلسفة اللغة، فلسفة الذهن، علوم المعرفة، الفن ... وقد وجهته في ذلك أسئلة رئيسية عن الزمن من قبيل؛ هل يمكننا بالفعل تحصيل حقيقة الزمن؟ وهل الزمن أمر ممكن؟ أفهلا يوجد الزمن، يا ترى، لأننا لا يمكننا أن نفكر من دونه؟ وهل يمكن لفلسفة الزمن أن تعيننا على فهم الآراء الفاسدة عن المستقبل وعن الموت؟ ولماذا يجدي الفن في فهم الزمن ويهم الزمن في فهم الفن؟ وما الذي يمكن أن يعنيه السفر عبر الزمن؟ وهل يمكن أن يكون السفر عبر الزمن أمرا مرضيا لإحساسنا بالحنين ولشعورنا بالندم؟ من خلال تناوله لهذه الأسئلة يبرز الكتاب أهمية فلسفة الزمن في الفكر المعاصر.

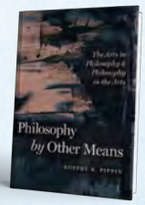

الكتاب: الفلسفة بوسائل أخرى
المؤلف: روبرت بيبين
دار النشر: مطابع جامعة شيكاغو
سنة النشر: 2021

الطرق إلى التفلسف بعدد الوسائل. وهذه الوسائل من التعدد بمكان. وقد أمضى الفيلسوف الأمريكي روبرت بيبين سحابة أيامه (١٩٤٨-) ناظرا في وسائل التفلسف غير الرسمية ؛ الفيلم، الأدب، التشكيل الحداثي .. محاولا إظهار أن ثمة من الموضوعات الجمالية ما لا يمكن فهمه الفهم الأقوم اللهم إلا بتفكير فلسفي يشكل جزءً من انهمامها. وفي كتابه الأخير هذا يوسع من استكشافاته ليقتحم عالم فلسفة الرواية اقتحاما؛ وذلك من خلال أعمال روائيين كبار من روائيي عصرنا ؛ هنري جيمس ومارسيل بروست وجون ماكسويل كوتزي. ذلك أن الفنون بعامة توفر طائفة من القيم والطموحات، وتمنحنا الجمال وروح اللعب والصنعة إذ هي تعمق أساطيرنا وتثري خبرتنا نحن معشر البشر. ويؤكد الفيلسوف في هذا الكتاب الباذخ على أمرين؛ أولهما؛ لا نقد من غير تفكير فلسفي، وثانيهما؛ من شأن الفلسفة أن تفتقر إن هي لم تسترفد من الاهتمام النقدي بالموضوعات الجمالية. ولهذا ترى روبرت بيبين في القسم الأول من كتابه يفحص كيف اعتبر فلاسفة، شأن كانط وهيجل وأدورنو، الصلة بين الفن والفلسفة. كما تلفيه في القسم الثاني يستكشف كيف يمكن عد الأعمال الفنية الفردية أشكالا من التفكير الفلسفي.

إصدارات عالمية جديدة

اللغة الإيطالية (عز الدين عناية)

الكتاب: الدين المدني في أمريكا
المؤلف: روبرت بلّاه.

الناشر: مورشيليانه (بريشيا- إيطاليا) باللغة الإيطالية.
سنة النشر: 2021.
عدد الصفحات: 111 صفحة

يتابع الكاتب روبرت بلاه التمازج الحاصل بين الدين والسياسة في أمريكا ضمن صياغة ما يعرف بـ «الدين المدني»، وهي الخاصية المميزة لأمريكا في مقابل «العلمانية الأوروبية». ثمة فهمٌ للمسيحية متغاير بين أمريكا وأوروبا. يحاول روبرت بلّاه شرح تفاصيله والإتيان على مرتكزاته. فليس الدين عنصر خصام مع الشأن السياسي، بل عنصر دعم واستثمار في ما يتعلق ببناء الإيلاف السياسي. فالدين في أمريكا حاضر بقوة وفاعلية وغالبا ما شكل عنصرا مهمًا للتماسك الاجتماعي الداخلي.

الكتاب: مَجمَعٌ وستة بابوات
المؤلف: جان فرانكو سفيدورسكي.

الناشر: ديهونيان (مدينة بولونيا إيطاليا) باللغة الإيطالية.
سنة النشر: 2021.
عدد الصفحات: 190 صفحة.

يمثّل الكتاب حوصلة ستين عاما من تاريخ الكنيسة الكاثوليكية المعاصرة. يحاول الكاتب جان فرانكو سفيدورسكي رصد تفاعلات جملة من البابوات مع مجْمع الفاتيكان الثاني. صحيح كانت لكل بابا رؤية ولكنّ جميعهم استلهموا مشوار بابويتهم من تعاليم مجْمع بات يشكل محور رؤية الكنيسة للعالم ولذاتها. ما الذي ميز كل بابا عن غيره؟ ذلك ما يحاول سفيدورسكي بيانه من خلال عرض القضايا الرئيسية التي واجهها كل بابا ومختلف القضايا السياسية التي كانت تشغل كل منهم.

الكتاب: أركيولوجيا التوراة..
مقدّمة موجزة
المؤلف: إريك كلين.

الناشر: كويرينيانا (بريشيا- إيطاليا) باللغة الإيطالية.
سنة النشر: 2021.
عدد الصفحات: 192 صفحة.

يحاول عالم الآثار إريك كلين عرض القضايا الرئيسية في الأركيولوجيا التوراتية وما يربطها بمسألة إسرائيل الحديثة. هناك حديث في الكتاب على الترابط الوثيق بين البحث الأثري والمقول التوراتي، يسعى الباحث من خلاله إلى إيجاد لغة مشتركة بين المسارين. تبلغ الأمور نقطة التوافق أحيانا وأخرى نقطة التضارب. الكتاب هو مدخل موجز، ولذلك يقتصر المؤلف أحيانا على الإتيان على نتائج البحث الأخرين ولا يولي شأنا كبيرا للمسارات البحثية المتشعبة.

لغة مالايالام (فيلابوراتو عبد الكبير)

الكتاب: جهاز التلفزيون
المؤلف: كيه. كونجي كريشنان

اللغة: مالايالام، صفحات: 270
سنة النشر: 2021.
الناشر: أكاديمية الإعلام بكيرالا

كتاب يسلّط الضوء على التحولات والتطورات التي حدثت في بث قنوات التليفزيون التي وضعت آثارها العميقة في الحياة الاجتماعية في ولاية كيرالا منذ أكثر من ثلاثة عقود. دراسة شاملة وموضوعية عن الجهاز الذي أصبح قوة فاعلة في مجال الصناعة الترفيهية. المؤلف الذي تقاعد من منصب المدير العام الإضافي في محطة تلفزيون «دور دارشن» الحكومية يشارك مع القراء من خلال هذه الدراسة الشيقة معلوماته القيمة وخبراته الفنية في مجال الإعلام المرئي. يحتوي الكتاب ترجمة حياة التلفزيون في الوقت الحاضر. مرجع موثوق به لمن يريد الدراسة عن عالم محطات التلفزيون وعن الأعمال الإعلامية المحيطة بها.